ابن حوشب

والحركة الفاطمية في اليمن

سيف الدين القصير

ابن حوشب
والحركة الفاطمية في اليمن

دار الينابيع
«للطباعة والنشر والتوزيع»
دمشق ص.ب 6348
☎ 3324914

التوزيع في لبنان:
دار الفارابي
بيروت - ص.ب: 11/3181
☎ 305520

التوزيع في مصر
دار النهر
20 ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة
ت - فاكس 3489018

● الإخراج الفني: مي مكارم

تصديـر:

هذه الدراسة هي في الأصل رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في كلية الآداب والعلوم في الجامعة الأمريكية في بيـروت لاتمـام المطلوب للحصول على درجـة الماجستير في تاريخ العرب والاسلام، ورغـم بعـد المسافـة التي تفصل بين زمـن تقديم الرسالة (١٩٧١)، والوقت الحالي، فقد لاحظت أن مـوضوع الـرسالـة لم يتم التطرق إليه بشكل صحيح كما كان الأمر مع تاريخ الـدعـوة الفـاطميـة في المغرب ومصر والحجاز وبـلاد الشام.

وكان لي شرف إعداد هذه الرسالة باشراف الاستاذ الدكتور محمود زايـد، وناقشها كل من الاستاذ الدكتور قسطنطين زريق والدكتور كمال الصليبي، فإليهم جميعاً أسجل تقديري لحسن الاشراف والتوجيه، وأملي، بهذا الجهـد المتـواضع، أن أسد ثغرة في تاريخ العرب في القرن الثالث الهجري، وأتحمّل أيّ تقصير في هذا المجال، والله من وراء القصد،

سلمية في ١٥ آيار ١٩٩٣

مقدمة:

إن غالبية الدراسات والابحاث التي نشرت عن التاريخ الفاطمي حتى الآن تتناول الفاطميين بعد قيام دولتهم في المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري. ومردّ ذلك، في الغالب، غموض دور الستر(١) الذي مرت به الدعوة الاسماعيلية قبيل قيام هذه الدولة. وكان قيام الدولة الفاطمية قد حفز المؤرخين والكتاب الاسماعيليين الاوائل إلى الكتابة عن الفترة التي سبقت قيام دولتهم مما ألقى مزيداً من الضوء على هذه الفترة وأوجد نوعاً من التوازن بين ما كُتب بأقلام المؤرخين الاسماعليين وما دوّنه المؤرخون الآخرون حول هذه الفترة أيضاً. غير أن معظم المؤلفات والمدونات الاسماعيلية قد فقدت بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر ثم الاجتياح المغولي لقلاعهم في آلموت في فارس في القرن السابع الهجري.

وفي العصر الحديث بدأت تظهر بعض المؤلفات الفاطمية التي تتعرض لذكر أحداث الدعوة الاسماعيلية ومجرياتها قبل قيام الدولة الفاطمية ومن هذه الاحداث ماكان عاملاً ممهداً لقيام هذه الدولة، ونعني بذلك الدعوة الاسماعيلية في اليمن. فهذه الدعوة التي قامت على اكتاف ابن حوشب ومساعده ابن الفضل في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري كانت الدولة الأولى التي نجح دعاة الفاطميين في إنشائها قبل قيام الدولة الفاطمية في المغرب، وكان مقدراً أن يظهر المهدي الفاطمي في اليمن لولا ظروف وعوامل داخلية حالت دون ذلك.

وعلى الرغم من أهمية هذه الدعوة وأثرها في مجرى أحداث التاريخ الفاطمي العام، وأهمية شخصية صاحب الدعوة، ابن حوشب، إلاّ أن أحداً من المؤرخين

المحدثين لم يحاول جعلها موضوعاً لدراسة علمية وافية، والبعض الذي تعرض لذكرها اكتفى بالاشارة إلى تقدمها زمنياً على الدولة الفاطمية في المغرب.

وقد دفعنا هذا إلى إعداد هذه الدراسة على الرغم من الصعوبات التي واجهناها في جميع المعلومات. فهناك كثير من المصادر والمراجع الأولية وكتب السير والتراجم لم تتعرض لذكر ابن حوشب ودعوته إلا بشكل عرضي، وحتى المؤرخين المحدثين(٢) المعنيّين بالتاريخ الفاطمي لم يفردوا لهذه الدعوة سوى صفحات قليلة.

أما مصادر هذه الدراسة فمتنوعة، وهي تشمل مراجع أولية فاطمية وغير فاطمية منشورة ومخطوطة، ومراجع ثانوية عربية وأجنبية وبعض المقالات(٣). ولعل كتاب القاضي النعمان بن محمد (ت ـ ٣٦٣ ه)، رسالة افتتاح الدعوة، من أهم المصادر الفاطمية التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، فالمعروف أن القاضي النعمان هو من أشهر فقهاء المذهب الاسماعيلي، وأنه عاصر أربعة من الأئمة الخلفاء الفاطميين في المغرب (٩٠٩/٢٩٧ ـ ٩٧٣/٣٦٣) كما ان له مؤلفات في الفقه والعقائد الاسماعيلية. ويبحث الكتاب في قيام الدولة الفاطمية في المغرب، ولكنه يتطرق في البداية إلى انتشار الدعوة الاسماعيلية في اليمن على يد ابن حوشب. وقد أفدنا من هذه المقدمة كثيراً لأنها تقدم معلومات هامة عن لقاء ابن حوشب بالامام الاسماعيلي المستور، الحسين بن أحمد ،وقصة اعتناقه للمذهب الاسماعيلي، ثم إعداده للذهاب إلى اليمن مع علي بن الفضل للقيام بالدعوة هناك.(٤) كما أن في الكتاب إشارة إلى علاقة خروج محمد المهدي من سلميه إلى المغرب وهرب أحد دعاته إلى اليمن بخروج علي بن الفضل على الدعوة وثورته عليها(٥). وفيه، فضلاً عن ذلك، معلومات قيّمة حول شخصية ابن حوشب وأصله ونسبه(٦) وكذلك شخصية زميله في الدعوة علي بن الفضل(٧). وقد اعتمد مؤرخون لاحقون الروايات التي وردت في هذ الكتاب بشكل أو بآخر(٨).

ويأتي كتاب الداعي ادريس عماد الدين (ت ٨٧٢ ه)، عيون الأخبار، في المرتبة الثانية من حيث الأهمية. وهو مخطوط يقع في سبع مجلدات ضخمة

تتناول التاريخ الاسماعيلي منذ فجر الدعوة وحتى عهد المؤلف. وهو من المراجع الهامة عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية لأن المؤلف نفسه كان من كبار دعاتها في اليمن. ويورد المؤلف في الجزء الرابع من هذا الكتاب معلومات مفصلة تخص الدعوة الفاطمية في اليمن في القرن الثالث الهجري وكذلك أئمة دور الستر وأنسابهم(٩). ويتضمن ذلك الحديث عن دعوة ابن حوشب في عهد الامام الحسين بن أحمد(١٠). ومعلوماته المتعلقة بأئمة دور الستر لم ترد عند غيره ممن رجعنا إليهم، أما ما يورده حول ابن حوشب ودعوته في اليمن فإنه ينقله عن المصدر السابق للقاضي النعمان.(١١).

وللمؤلف الداعي ادريس كتاب آخر بعنوان زهر المعاني يبحث في مواضيع عقائدية اسماعيلية، إلاّ أنه توجد فيه إشارات إلى نسب المهدي(١٢) وإلى شخصية ابن حوشب ونسبه أيضاً،(١٣) وهي إشارات لاتختلف عما أورده في كتابه السابق.

ولشمس الدين احمد الشرفي (ت. النصف الثاني من القرن ,٩هـ) سفر ضخم يؤرخ للدعوة الزيدية وأئمتها في اليمن منذ نشوئها وحتى عصر المؤلف، بعنوان اللآلي المضية في أخبار أئمة الزيدية، ويورد المؤلف، وهو من الزيدية، في الجزء الثاني من هذا الكتاب معلومات مفصلة حول الدعوة الفاطمية في اليمن ونشاط دعاتها هناك وخاصة فيما يتعلق بنشاطات واعمال ابن الفضل(١٤). ويمكن اعتباره من المراجع اليمنية الهامة في هذا الموضوع لأنه ينقل عن مصادر بعضها لم يُنشر بعد ومعلوماته أكثر تركيزاً من معلومات وردت عند مؤرخين يمنيين آخرين مثل يحيى بن الحسين وابن المؤيد.

إذا كان افتتاح الدعوة للقاضي النعمان من أهم المصادر الاسماعيلية حول الدعوة في اليمن، فإن كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للحمّادي اليماني (ت. بعد ٤٥٠هـ) هو من اهم المصادر اليمنية غير الاسماعيلية. والمؤلف فقيه يمني معروف عاش خلال حكم الصليحيين الاسماعيليين لليمن باسم الخلافة الفاطمية في مصر. وكان المؤلف قد دخل في دعوتهم ثم خرج منها بعد مدة ووضع هذا الكتاب. ومايميزه عن كتاب القاضي النعمان هو أنه يعطي وجهة

نظر السنة بالنسبة للدعوة الاسماعيلية في اليمن، ويركّز على دعوة ابن الفضل وأعماله خاصة بعد خروجه على ابن حوشب. كما أنه يعطينا معلومات، قيّمة تخص بدء لدعوة وشخصيات أصحابها ثم نهايتها.

ويلي كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك(١٥) للبهاء الجندي (ت ٧٣٢هـ) في أهميته كتاب الحمّادي اليماني، كشف اسرار الباطنية. فالجندي أفاد من الحمادي ومن غيره من المؤرخين الذين ذكرهم في كتبه مثل اسحق بن يحيى بن جرير، وأبي العباس أحمد الرازي وغيرهما(١٦)، فجاءت معلوماته بخصوص الدعوة الاسماعيلية في اليمن أكثر دقة ووضوحاً في بعض الأحيان من معلومات الحمادي اليماني. ويلاحظ أن المؤلف يركّز على بحث الدعوة بعد قيامها، وكذلك على أعمال أصحاب الدعوة وفتوحاتهم، كما يشير إلى ثورة ابن الفضل ونهاية الدعوة بشيء من التفصيل(١٧). وقد نقلنا عنه في كثير من صفحات هذه الدراسة.

ويعتبر المقريزي (ت ٨٤٥هـ) من أكثر مؤرخي الاسلام السنة اهتماماً بالدراسات الفاطمية، ومؤلفاته من المصادر الهامة لهذه الدراسات. والمؤلفات التي عدنا إليها في هذه الدراسة هي كتابيه اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، والخطط المقريزية.

ومن المصادر اليمنية الهامة في هذا المجال كتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن، ليحيى بن الحسين بن المؤيد اليمني (ت. النصف الثاني من القرن الحادي عشر هـ.)، إذ يبحث الكتاب في تاريخ الدعوة الزيدية مابين عامي ٢٨٠ - ٣٢٢هـ، وهي الفترة التي شهدت نشاط الدعوة الاسماعيلية ثم نهايتها. وما يورده بخصوص الدعوة التي يسميها بالقرمطية موجز اتبع في عرضه الاسلوب الحولي، ويبدو أنه ينقل عن غيره لكنه قليلاً ما يذكر المصدر الذي يأخذ عنه(١٨). وقد أفدنا منه لأنه يذكر تواريخ الأحداث مما ساعدنا في تحقيق هذه التواريخ بالنسبة للمصادر الأولية التي قليلاً ما تذكر ذلك.

أما فيما يتعلق بالمراجع والدراسات الحديثة حول هذا الموضوع فيمكن القول أن كتاب الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسين الهمداني وحسن

محمود، هو من أهم هذه المصادر التي تطرقت إلى دعوة ابن حوشب وبحث فيها من جوانبها المختلفة. والهمداني من أكثر المؤرخين المعاصرين إطلاعاً على مصادر التاريخ الفاطمي في اليمن، كما أنه اطلع على مخطوطات كثيرة حول هذا الموضوع وقد خصص باباً لدراسة دعوة ابن حوشب(١٩) التي سبقت دولة الصليحيين بأكثر من قرن من الزمان. وقد أفدنا من مناقشته لبعض الحوادث في تاريخ دعوة ابن حوشب، خاصة وأن المؤلف يعتمد مراجع أوليه لم يستطع الوصول إليها(٢٠).

وصدر مؤخراً كتابان يصنفان ضمن كتب الدعوة الاسماعيلية، الأول تاريخ الاسماعيلية(٢١) للدكتور عارف تامر، وهو تاريخ عام لهذا المذهب والثاني الاسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم(٢٢)، للدكتور فرهاد دفتري بالانكليزية وهو رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة كمبردج، قدم فيه المؤلف خلاصة جهد دام أكثر من عشرين عاماً، فكانت النتيجة دراسة موضوعية متزنة باسلوب علمي ناقد.

ويجد القارئ في ختام هذه الدراسة قائمة مفصلة بمصادر هذه الدراسة آملين أن نكون قد وفقنا في توضيح جانب من جوانب تاريخ اليمن في العصر الاسلامي.

حواشي المقدمة:

(١) دور الستر هو الدور الذي اختفى فيه الأئمة عن أعين العامة بسبب مطاردة بني العباس لهم. وأول أئمة هذا الدور هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وآخرهم محمد المهدي الذي أسس الدولة الفاطمية في المغرب منذ ٢٩٧ هـ.

(٢) المعروف أن حسن ابراهيم حسن وحسين الهمداني من أكثر المؤرخين المحدثين إهتماماً بالتاريخ الفاطمي، ومع ذلك فإن ابن حوشب ودعوته لم يشغلا سوى الصفحات ٤٠١ - ٤٠٤ من تاريخ الدولة الفاطمية، ولصفحات ٢٧ - ٤٨ من الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن.

(٣) انظر قائمة مفصلة بهذه المراجع في نهاية هذه الدراسة.

(٤) القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ)، رسالة افتتاح الدعوة، بيروت دار لثقافة ١٩٧٠، تحقيق وداد القاضي، ص ٣٤ - ٣٨,

(٥) المصدر ذاته، ص ١٤٩ - ١٥٠,

(٦) المصدر ذاته، ص ٣٢ - ٣٣,

(٧) المصدر ذاته، ص ٣٩ - ٤٠,

(٨) المصدر ذاته، ٢١ .

(٩) عماد الدين ادريس (ت. ٨٧٢ هـ)، عيون الاخبار، ٧ مجلدات، طبع منها الجزئين الرابع والخامس بتحقيق مصطفى غالب، ونشرتهما دار الاندلس (بيروت) ١٩٧٣، ١٩٧٥، أنظر ج ٤، ص ٦٢٠ وما بعدها.

(١٠) المصدر ذاته، ج٤، ص ٦٢٠ وما بعدها.(١١) المصدر ذاته، ج٤، ص ٦٢٥,

(١٢) عماد الدين ادريس، زهر المعاني، ص ٢٠٥،

(١٣) المصدر ذاته، ٢٥٢,

(١٤) شمس الدين أحمد الشرفي، اللآلي المضية في أخبار أئمة الزيدية، ج٢، ورقه ٨٥ - ٨٧,

(١٥) نشره: H.CKay, Omara's History of yemen)LondonEdward .Arnold,1892(

(١٦) انظر المقدمة الانكليزية في المصدر السابق، ص ١٤ - ١٥,

(١٧) السلوك، ص ١٤٦ وما بعدها. (١٨) أنباء الزمن، ص ٣٨، يذكر أنه ينقل قصة لقاء ابن حوشب بالامام — عن صاحب بهجة الزمن في أخبار اليمن.

(١٩) الصليحيون والحركة الفاطمية. ص ٢٧ - ٤٨ .

(٢٠) أهمها قرة العيون وبغية المستفيد لابن الربيع الزبيدي (٩٤٤ ه)، والكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الاسلام لابي الحسن الخزرجي (ت ٨١٢ ه)

(٢١) عارف تامر، تاريخ الاسماعيلية، ٤ أجزاء، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، Farhad Daftary, The Ismailis: Their History and Doctrines, London, Cambridge university Press. 1991

الفصل الأول

اليمن والحركات الشيعية قبل ظهور ابن حوشب

١- دخول الأسلام الى اليمن وبدء علاقة القبائل اليمنية بالحركة الشيعية:

من المحقق أن دخول الاسلام إلى اليمن بدأ سنة ٦٢٨م، أي في السنة السادسة من الهجرة(١). وكانت اليمن حتى ذلك التاريخ تحت سلطان الفرس يحكمها كسرى بواسطة عامل له يدعى باذان(٢). وقد أسلم هذا العامل بعد أن ورد عليه كتاب رسول الله(ص)، وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن، وبهذا دخلت اليمن تحت راية الاسلام.

لكن انتشار الاسلام بقي محدوداً حتى كان مجيء علي بن أبي طالب في سفارة لرسول الله(ص) إلى اليمن، وإسلام العديد من القبائل اليمنية على يديه. ويذكر الطبري رواية منسوبة إلى البراء بن عازب تقول ان رسول الله(ص) بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الاسلام، وأن خالداً أقام هناك ستة أشهر وأهل اليمن لايجيبونه إلى شيء، فبعث النبي علي بن أبي طالب وكان البراء ممن رافقوه في هذه السفارة فقال:

فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له، فصلى بنا الفجر، فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم

قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى لله عليه وسلم، فلما قرأ كتابه خرّ ساجداً، ثم جلس فقال: السلام على همدان، السلام على همدان! ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام.(٣)

وذكر الجعدي حديثاً بهذا المعنى، فقال:

وأخبرني القاضي أحمد بن علي بن أبي بكر، عن والده كنانه، أن علياً دخل أبين وخطب فيها على المنبر حطبه بليغة ذكر فيها أن منكم من يبصر بالليل والنهار، ومنكم من يبصر بأحدهما دون الأخرى، وما يؤدي معنى هذا الكلام. قال، وبعض المحدثين يقول عدن لاعة(٤)

وتكمن أهمية هذا الحديث في أنه يشير إلى المكان الذي سيصبح بعد حوالي قرنين ونصف من الزمان مركزاً لانطلاق الدعوة الاسماعيلية في اليمن على يد ابن حوشب، ونعني بذلك عدن لاعة. ولاشك في أن مجيء علي بن أبي طالب إلى اليمن قد عزز مكانته ومنزلته عند القبائل اليمنية، وبخاصة عند قبائل همدان التي ستصبح من أكثر القبائل تحمساً لقضية علي، وتضحية في سبيل نصرته. وقد علّق الهمداني على هذه الاتصالات الشخصية لعلي مع قبائل اليمن فقال:

ومما لاشك فيه أن هذه الاتصالات الشخصية لعلي مع قبائل اليمن قد تركت أثراً في نفوس الناس هناك. ذلك الأثر هو حب علي وآل بيت النبي، وبقي هذا الحب يزداد ما بقيت الأيام، حتى أن الامام الفاطمي المستور الحسين بن أحمد، حين أرسل أبا القاسم الحسين بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي داعياً إلى اليمن أمره أن ينزل عدن لاعة، لأن بها من يدين بدعوته...(٥)

وهكذا نلاحظ أن بذور التشيع لعلي قد زرعها علي بن أبي طالب بنفسه خلال سفارته إلى اليمن، وأنه أوجد نوعاً من العلاقة المتينة بينه وبين قبائل همدان اليمنية، وأن هذه العلاقة أخذت تنمو وبلغت حداً دفع برجال هذه القبائل إلى التضحية بأرواحهم في سبيل نصرة علي خلال نزاعه مع معاوية على الخلافة(٦). وقد أورد نشوان الحميري أبياتاً شعرية منسوبة إلى علي بن أبي طالب في مديح

قبائل همدان إن دلت على شيء فإنما تدل على متانة علاقة علي بهذه القبائل وتعظيمه لها لما أظهرته من إخلاص ووفاء له ولقضيته(٧). منها مثلاً قوله في همدان:

لو كنت بوابا على باب جنة　　　لقلت لهمدان أدخلوا بسلام(٨)

وعلى الرغم من تولي أبي بكر وعمر وعثمان الخلافة قبل علي، إلاّ أن بذور التشيع استمرت منتعشة في اليمن(٩). وليس أدل على قوة روح التشيع في نفوس اليمنية من فتنة عثمان(١٠)، والتي شارك فيها أنصار علي من رجال القبائل اليمنية المقيمين في مصر والشام والعراق. وقد انتهت هذه الفتنة، كما هو معلوم بمقتل الخليفة عثمان، وبيعة علي بالخلافة ٣٥هـ/٦٥٥م. ثم نرى قبائل همدان اليمنية تحارب إلى جانب علي ضد معاوية في صفين، وكان لهذا الجهاد أثر كبير "ساعد على انتشار التشيع في اليمن" كما يرى الهمداني الذي ينقل عن عماد الدين ادريس في نزهة الأفكار قول علي في همدان، "يامعشر همدان أنتم درعي ورمحي، والله لو كنت بواباً على باب جنة لأدخلتكم قبل جميع الناس، ومانصرتم إلا الله تعالى"(١١). ولعلّ في قصة البراء بن وفيد العذري(١٢) مع معاوية أثناء موقعه صفين مثال على ما أورده الهمداني. وكان البراء يحارب في صفوف معاوية ضد علي، لكنه عاد وترك معاوية بعد أن قام الأخير بمنع الماء عن أصحاب علي، وانضم إلى جيش علي وحارب معه إلى أن قُتل(١٣).

وبمقتل علي بن أبي طالب سنة ٤٠هـ/٦٦٠م/ اضطر شيعة اليمن إلى التستر والتخفي خوفاً على أنفسهم من اضطهاد عمال بني أمية، وعمال بني العباس من بعدهم، واستمروا في ذلك طيلة الحكم الأموي وحوالي قرن من حكم العباسيين. فقد افتتح معاوية، الخليفة الأموي الأول في دمشق، حكمه على اليمن بإرسال بسر بن أرطأة العمري والياً عليها، وأطلق يده ليعمل على القضاء على الحركة الشيعية هناك(١٤). وقام هذا الوالي بتنفيذ أوامر الخليفة وقتل من الشيعة عدداً كبيراً، منهم ولدا والي الخليفة السابق، علي بن أبي طالب، وشرد الباقين مما اضطر الكثيرين منهم إلى التستر والتخفي خوفاً على أنفسهم من موت محقق.

ولما انتقلت الخلافة إلى الامويين، قام هؤلاء بنقل عاصمة الحكم إلى دمشق في الشام. وهذا الانتقال جعل اليمن تصبح أكثر بعداً عن مقر السلطة المركزية، ثم أن الامويين اهتموا بعد ذلك بالفتوحات وبالأقطار الجديدة، وقلّ اهتمامهم باليمن تدريجياً. وكان من نتيجة ذلك أن تشجّع ذوو النزعات الاستقلالية على التفكير جدياً بالانفصال عن جسم الخلافة. ولكن، ولأن الدولة الأموية لم تعمّر طويلاً من جهة، ولأن هذه النزعات الاستقلالية لم تكن قد اختمرت جيداً خلال هذا العهد من جهة أخرى، فإن ظهورها قد تأجل إلى العهد العباسي. وكان العباسيون قد نقلوا عاصمة الخلافة إلى بغداد في العراق وأهملوا الولايات العربية بشكل عام، مما سمح بنشوء الدويلات المستقلة وبنشاط الحركات الشيعية في اليمن في العصر العباسي الذهبي.

٢- الحركات الشيعية الأولى في اليمن:

يذهب العمري إلى أن الدعوة العلوية في اليمن ظهرت سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م، زمن الخليفة المأمون، على يد ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي. (١٥) واستطاع ابراهيم المذكور أن يهزم عامل المأمون الجديد على اليمن، ابن عباس الذي هرب من وجهه، وبقي العلوي يسيطر على جنوب اليمن لمدة ثلاث سنوات حتى مجيء ابن زياد، مؤسس الدولة الزيادية في اليمن، سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م.(١٦)

وكان ظهور هذا الحركة في هذا الوقت المبكر ايذاناً بقرب ظهور دعوات شيعية أكثر تنظيماً ووضوحاً من حيث الأهداف والاتجاهات، وذات تأثير كبير في المجتمع اليمني، مثل الدعوة الزيدية، والدعوة الاسماعيلية.

أ- الدعوة الزيدية:

استطاعت هذه الدعوة أن تحقق في اليمن مالم تستطع ان تحققه خلال نشاطها في طبرستان والمناطق الشرقية من بلدان الخلافة الاسلامية في القرن الثاني الهجري. وصاحب هذه الدعوة هو أحد أعقاب الامام زيد بن علي، وأسمه يحي بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابرهيم بن الحسين بن الحسن

بن علي بن أبي طالب، ولقبه الهادي إلى الحق، ويعرف بالرسي نسبة إلى جده القاسم الرسي الذي ترك طبرستان في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وتوفي في المدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م.(١٧)

ويسميه السيوطي ابن طباطبا، وذهب إلى انه أول من دعي له بأمرة المؤمنين في اليمن(١٨). ويذكر بروكلمان أن الشيعة الزيدية كانت قد علقت الآمال على الامام الهادي، بسبب من ورعه وعلمه ونشاطه، في أن يعيد امجاد البيت العلوي الذي ينتسب إليه، ولما وجد هذا الإمام ان تحقيق ذلك متعذرا في طبرستان، وجّه نظره إلى اليمن حيث التربة خصبة لدعوته هناك(١٩). وقد سنحت له الفرصة عندما زاره، وهو في الحجاز، وفد من أهالي صعديه اليمنية(٢٠) سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م، وطلبوا منه أن يأتي وينزل معهم في مدينتهم(٢١). ولم يتردد في ذلك، وظهر على أبواب صعده مع خمسين رجلاً من أتباعه في تلك السنة، واستقرّ هناك وأخذ يدعو الناس إلى طاعة آل رسول الله(٢٢). ثم إنه استغلّ الخلافات والحزازات القائمة بين القبائل في تلك المنطقة في سبيل تكوين مجد سياسي له ولدعوته، وفي ذلك يقول بروكلمان:

وكما ساعدت الحزازات القبلية، التي دعي الرسول إلى إزالتها على تدعيم مركزه كزعيم للمدينة، فكذلك وفق الهادي إلى اكتساب عدد متزايد من الاتباع بسبب من الحكومة التي أصلح بها مابين المسلمين والنصارى في اسقفية نجران القديمة، أولاً، وما بين القبائل الضارية في تلك المنطقة فيما بعد.(٢٣)

وحاول الامام الهادي نشر نفوذه خارج صعدة إلا أنه فشل في ذلك بسبب منافسة أمراء الدولة اليعفرية في صنعاء والدعوة الاسماعيلية له ولدعوته، مع أنه دخل صنعاء غير مرة خلال الصراع بين بني يعفر ودعاة الاسماعيلية الذي أمتد من سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م إلى ٢٩٩هـ/٩١١م، ومع ذلك فإن الهادي استطاع أن يرسي قواعد الدولة على أسس قوية، وازدادت دولته قوة ومنعه على أيدي أبنائه بعد وفاته سنة ٢٩٨هـ/٩١١م، بحيث تمكنت من البقاء والسيطرة على اليمن لمدة تزيد على الألف عام، وإليها تنسب العائلة المالكة الزيدية التي أطاح بها انقلاب عبد الله السلال عام ١٩٦٢م(٢٤). ويرى عارف تامر في هذه الحركة عاملاً

ساهم في تفكك الأوضاع اليمنية، ومهّد لظهور ابن حوشب والدعوة الاسماعيلية في اليمن، لأنها ساعدت على إضعاف سلطان ولاة العباسيين هناك(٢٥).

ب ـ الدعوة القرمطية:

وهي فرع من الدعوة القرمطية العامة ـ إذا سلمنا بصحة الروايات التي تذكرها ـ التي كانت تعمل في أوج نشاطها في العراق والشام في الثمانينات من القرن الثالث الهجري، والتي تنسب إلى حمدان قرمط، أحد أشهر دعاة الاسماعيلية في سواد الكوفة بالعراق. لكن، .وبما أن هذه الدعوة ظهرت في اليمن حوالي سنة ٢٨٢ ه/٨٩٨م، فإننا نميل إلى الشك في اعتبارها جزءاً من الدعوة الاسماعيلية (٢٦) ،خاصة وأننا سنرى أن الدعوة الاسماعيلية في هذا التاريخ كانت قد نمت وانتشرت في اليمن على يد ابن حوشب ومساعده ابن الفضل. كما أن المقريزي الذي تعتبر مؤلفاته من أهم مصادر التاريخ الفاطمي عموماً، يتحدث عن هذه الحركة بلهجة غريبة لم نألفها في حديثه عن الفاطميين الاسماعيليين وأعمالهم، بل وحتى أنسابهم. ويسمى هذه الحركة فتنة، ويستعمل عبارة لعنه الله بعد ذكره لاسم النجار، صاحب الحركة في اليمن(٢٧).

وتفرّد الدواداري والمقريزي بذكر بعض اخبار هذه الحركة(٢٨)، ونقلها عنهما من المؤرخين المحدثين عارف تامر، وصاحب الحركة هو النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقي(٢٩)، وينسبه الدواداري إلى أبي الفوارس، داعي دعاة عبدان القرمطي في القطيف واقليم غربي البصرة، ويقول أن أصله من النرس(٣٠).

وقد رحل الصناديقي إلى اليمن سنة ٢٨٧ه/٩٠٠م، وقام ببث دعوته بين الناس ويبدو انه استجاب له خلق كثير لأنه حلل لهم المحرمات وأزاح عن كواهلهم الفروض والواجبات، وفتح بهم الأقاليم المختلفة وأجلى عنها السلطان. ووصف المقريزي أعمال الصناديقي في اليمن فقال أنه بعد دخول عدد كبير من الناس في دعوته«أظهر العظائم، وقتل الأطفال، وسبي النساء وتسمى برب العزة، وكان يكاتب بذلك، وأعلن سب النبي صلى الله عليه وسلم ـ وسائر الأنبياء،

واتخذ دار إفاضة سماها دار الصفوة يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن، ويحفظ من تحبل منهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك، ويتخذ تلك الاولاد لنفسه خولاً، ويسميهم أولاد الصفوة.....وكان الصناديقي يقول: إذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من ولد، فيكونوا كنفس واحدة(٣٢)»

وعظم أمر القرمطي باليمن فحارب الامام الهادي الزيدي واضطره إلى الجلاء عن عمله في صعدة إلى الرس، ولكن الهادي عاد وجمع رجاله وحارب الصناديقي الذي خسر معظم جيشه في ليلة واحدة بعد أن أصيب بالبرد والثلج وهو يجتاز أحد الممرات الجبلية الضيقة. ثم أرسل الامام الهادي(٣٣) طبيباً استطاع أن يصل إلى الصناديقي وأن يفصده بمبضع مسموم ويقتله. «وأنزل الله بالبلدان التي غلب عليها بثراً يخرج في كتف الرجل منهم بثرة فيموت سريعاً»(٣٤). والتجأ ابن الصناديقي إلى الجبال مع بعض رجاله، ولكن لم يلبث أن توفي بعد مدة قصيرة، واستأمن من بقي من أصحابه إلى الامام الهادي واندثرت الدعوةالقرمطية في اليمن ولم يبقى لها أي أثر.(٣٥)

إن إيراد هذه الرواية بهذا الشكل الذي يشبه إلى حد بعيد ما اورده الحمادي اليماني عن علي بن الفضل ودعوته في اليمن(٣٦)، وتفرّدْ الدواداري والمقريزي بنقلها دون سائر من كتبوا في تاريخ اليمن، بالاضافة إلى عدم ذكر أي شيء عن علاقة هذه الدعوة بالدعوة الاسماعيلية التي كانت قائمة في اليمن في ذلك الوقت، يجعلنا نميل إلى عدم الاطمئنان إلى صحتها، وربما هي في جملتها رواية أخرى للدعوة التيقام بها علي بن الفضل، مساعد ابن حوشب، في اليمن باسم الامام المستور الحسين بن أحمد ثم انقلب عليها فيما بعد وادعى هو نفسه أنه المهدي المنتظر. وهو ماسنوضحه في الصفحات القادمة من هذه الرسالة.

٣ ـ نشوء الدويلات المستقلة.

تعتبر العوامل التي مهدت لنشاط الحركات الشيعية في اليمن هي نفسها التي مهدت لنشوء الدويلات المستقلة في تلك المنطقة.(٣٧) وتتلخّص هذه العوامل في بُعد اليمن جغرافياً عن عاصمة الخلافة ـ بغداد ـ ووعورة تضاريس البلاد وإهمال الخلفاء لها. ويضيف بروكلمان إلى هذه العوامل عاملاً آخر هو، كما يقول:«أن الحكام الارستقراطيين ظلوا ىنفظون بقلاعهم ويفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم، كما كانوا يفعلون عهد سبأ وحمير، من غير أن يجدوا معارضة من ممثل الخلافة في صنعاء، ما داموا يؤدون نصيبهم من الجزية في شيء من الاطراد(٣٨)».

ونتناول هنا، باختصار، أهم هذه الدويلات معتمدين على القليل الذي تورده مصادرنا عنها وعن طبيعتها.

آ. الدولة الزيادية:

ما نعرفه عن هذه الدولة هو أنها أولى الدويلات التي نشأت في اليمن بتشجيع من الخليفة المأمون العباسي بعد أن وصلت إليه أنباء انتشار الدعوة الشيعية هناك، وبعد اخفاق سياسته العلوية لكسب تأييد لشيعة له، وكان ذلك في عام ٢٠٣هـ/٨١٩م(٣٩). ويذكر البكري أن اليمنيين هم اللذين أرسلوا وفداً يمثل صفوتهم إلى الخليفة المأمون في بغداد يطلب منه العون والمساعدة للقضاء على الدعوة العلوية(٤٠) التي أخذت بالانتشار على نطاق واسع هناك، وأن الوفد كان برئاسة محمد بن زياد بن عبد الله بن زياد بن أبي سفيان. وطلب محمد المذكور من المأمون أن يولّيه اليمن وهو يكفل ويضمن صيانة هذا البلد من الدعوة العلوية والعلويين، فوافق المأمون على ذلك، وعاد ابن زياد إلى اليمن وقضى على العلوين ودعوتهم.(٤١)

أما بروكلمان فيرى أن الخليفة المأمون هو الذي أرسل القائد ابن زياد على رأس قوات خراسانية للقضاء على الاضطرابات والقلاقل وتثبيت الأمر لبني العباس(٤٢). وقد تمكن محمد بن زياد من فتح معظم اليمن واخضعه لسيطرته

المباشرة، وبنى مدينة زبيد(٤٣)، وجعلها عاصمة ملكه سنة ٨٥٤/٢٤٠ . وأنشأ دولة تكاد تكون مستقلة عن عاصمة الخلافة، إذلم تكن تربط ابن زياد بعاصمة الخلافة بغداد سوى ذكر أسم الخليفة والدعاء له في خطبة يوم الجمعة. واستمرت هذه الدولة في ابناء ابن زياد زأحفاده حتى سنة ٥٤٠٢/١٠١١م.(٤٤) لكنها كانت في معظم الأوقات مقتصرة على مدينة زبيد وما جاورها. وفي عهد حفيده، أبو الجيش أسحق بن ابراهيم بن محمد (٢٨٩ - ٥٣٩١/٩٠٤ - ١٠٠١م)، ظهرت الدعوة الاسماعيلية كقوة منافسة للزياديين. وفي سنة ٥٢٩٤/٩٠٦م قام علي بن الفضل، مساعد ابن حوشب، بغزو مدينة زبيد، وأخرج منها أصحابها لبعض الوقت(٤٥). ولكن هؤلاء الامراء لم يلبثوا أن عادوا واستقروا في ملكهم بعد مقتل ابن الفضل سنة ٥٣٠٣/٩١٥م، وقطعوا علاقتهم بعاصمة الخلافة بغداد، بعد عجز العباسيين عن امدادهم بالمساعدة ضد الحركات والدعوات الاستقلالية والشيعية الاخرى التي نشطت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

ب ـ الدولة اليعفرية:

إذا كانت دولة بني زياد قد قامت بتشجيع من الخليفة العباسي المأمون حتى يتمكن بواسطتها من تمكين نفوذه وسلطته في هذا القطر النائي، فإن دولة بني يعفر قد قامت ضد السلطان العباسي الذي كانت سلطته لا تزال متمثلة بعامله على صنعاء. ومؤسس هذه الدولة هو جعفر بن عبد الرحيم الحوالي، وهو من الأشراف المحليين المقيمين بشبام(٤٦)، وكان ذلك حوالي سنة ٥٢٣٠/٨٤٤(٤٧). وكان جعفر المذكور قد شق عصا الطاعة على عامل الخليفة المعتصم العباسي، هرثمة بن بشير، وحاربه، وامتد نفوذه إلى الجنوب والمناطق المجاورة لشبام. واستطاع خلفه، أسعد بن أبي يعفر (٢٨٢ - ٥٣٣١/٨٩٢م - ٩٤٣) أن يبسط نفوذه على الشمال اليمني وأن يستولي على صنعاء، عاصمة بني العباس هناك. واعترف به خلفاء بني العباس أميراً على صنعاء في أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، بعد اعتراف الأمير أسعد بالسلطان العباسي، وذكره لاسم الخليفة في خطبة الجمعة.(٤٨) ونشطت في عهد الأمير أسعد أيضاً حركتا

الزيدية والاسماعيلية في اليمن، وأصبحتا قوتين منافستين لهذه الدولة الناشئة. وقد أخرج هذا الأمير من صنعاء عدة مرات أثناء نشاط هاتين الدعوتين، ففي سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م غزاالامام الهادي الزيدي صنعاء، وفي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥ هاجمها علي بن الفضل، مساعد ابن حوشب، للمرة الأولى لكنه لم يستقر بها إلا في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م. وبعد ذلك بعامين، قام أسعد بن أبي يعفر بمصالحة ابن الفضل وتولى له صنعاء وقطع الخطبة لبني العباس(٤٩). واستمر على هذه الحال حتى مقتل ابن الفضل سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م حيث أعاد الخطبة لبني العباس وقضى على دعوة ابن الفضل في اليمن، واستمرت دولة بني يعفر حتى ٣٩٣هـ/١٠٠٢م.(٥٠)

هذه باختصار، لمحة موجزة عن اهم حركتين استقلاليتين قامتا في اليمن في أوائل القرن الثالث الهجري، وهما حركتان استقلّتا عن الخلافة العباسية فعلياً، وبقيتا تابعيتين لها أسمياً، وذلك بذكر أسم الخليفة العباسي في خطبة يوم الجمعة. وهو الاسلوب الذي يضمن أعتراف الخليفة بشرعية حكم هؤلاء الأمراء لكي يتمكنوا من فرض سلطانهم على رعيتهم واتباعهم.

٤- الحالة العامة في اليمن وقت ظهور ابن حوشب.

لم تكن اليمن تشكل وحدة سياسية، ولم تكن خاضعة لحكم أمير واحد في الوقت الذي بدأت تظهر فيه الدعوة الاسماعيلية هناك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وإنما كانت، على الرغم من كونها تابعة للحكم العباسي في بغداد، ووجود عمال عباسيين في صنعاء، بلاداً أنهكتها المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية، وكانت تتشكل من ولايات شبه مستقلة عن الخلافة العباسية «ادارياً وسياسياً لضعف الخليفة عن حربها، ولكنها لم تستطع الاستقلال عنه دينياً لأن الولاة كانوا لايستغنون عن بيعة الخليفة لتثبيت سلطانهم.(٥١)»

ولا غرو، فقد تضافرت عوامل متعددة، داخلية وخارجية تسببت في انتشار الفوضى والاضطرابات في هذه الفترة وفي انعزال اليمن عن بقية أقطار الخلافة الاسلامية. فضعف السلطة المركزية في عاصمة الخلافة الاسلامية، وتنافس الأمراء اليمنيين فيما بينهم، بالاضافة إلى عدم الاستقرار الذي شهدته شبه الجزيرة العربية نتيجة ثورات القرامطة المتعددة في سواد الكوفة في العراق وفي البحرين، كلها

ساهمت في خلق هذا المناخ المضطرب الذي أحسن دعاة الاسماعيلية استغلاله، والذي أصبح عاملاً مساعداً لنجاح دعوتهم هناك على يد ابن حوشب ومساعده، ابن الفضل، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.(٥٢).

وقد رأينا أن دولة بني زياد قامت في زبيد في وقت مبكر من القرن الثالث الهجري، وتبعتها دولة بني يعفر في صنعاء، واعترفت كل منهما بالسلطان العباسي، وما عدا هذا الاعتراف لم يربطهما معه أي رابط آخر. وأن دولة بني زياد قامت بتشجيع من الخليفة العباسي، المأمون، ثم استقلت عنه، بينما أثبتت دولة بني يعفر وجودها بقوة السيف وحصلت على استقلالها وعلى اعتراف الخليفة العباسي بهذه الواسطة أيضاً. ثم برز عنصر آخر على مسرح الاضطرابات والصراع في اليمن، لم تربطه بالسلطان العباسي أية رابطة، بل كان من أكثر الحركات عداوة لهذا السلطان، وهذا العنصر هو الحركة الزيدية التي قامت في صعدة حوالي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م على يد الامام الهادي الزيدي. وزاد ظهور هذه الحركة الجديدة في الفوضى والاضطراب نتيجة الحروب المريرة التي قامت بينها وبين بني يعفر(٥٣) مما ساعد على اضعاف الدولة اليعفرية، وساهم في اتاحة الفرصة أمام الدعوة الاسماعيلية كي تتقوى وتتوسع على حساب نفوذ بني يعفر وأئمة الزيدية على السواء.

وبقيام الدعوة الاسماعيلية بعد سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م، في عدن لاعة وجيشان، أصبحت تتقاسم اليمن أربع دويلات مستقلة عن السلطة العباسية، ومتصارعة فيما بينها، وهي:

- دولة بني زياد في زبيد.
- دولة بني يعفر في صنعاء.
- الدولة الزيدية في صعده.
- الدولة الاسماعيلية في عدن لاعة وجيشان.(٥٤)

وصدق قول علي بن الفضل للامام الاسماعيلي المستور الحسين بن أحمد عندما عرض عليه الأخير القيام بالدعوة لولده، المهدي في اليمن:

«والله أن الفرصة ممكنة في اليمن، وأن الذي تدعون إليه جائز هنالك وناموسنا يمشي عليهم، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الاحلام، وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية.(٥٥)».

حواشي الفصل الأول:

(١) Hart,J.S.,Baisic Chronology..., The Middle East Journal , vol..17 P.146.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ,٩١

(٣) المصدر ذاته، ج٣/ ص,١٥٩

(٤) الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص ,١٦

(٥) الهمداني، الصليحيون، ص ,١٤

(٦) المصدر ذاته، ص ,١٧

(٧) نشوان الحميري، منتجات في أخبار اليمن، ص،،٥٣، ,١١٠

(٨) المصدر ذاته، ص ,١١٠

(٩) الهمداني، الصليحيون، ص ,١٥

(١٠) وردت تفاصيل هذه الفتنة عند الطبري، تاريخ الامم، ج،٥ ص ٩٨ وما بعدها.

(١١) الهمداني، الصليحيون، ص ,١٧

(١٢) قيل أنه كان من كبار دهاة قبيلة عذر اليمنية وزهادها، الهمداني، الاكليل، الكتاب العاشر، ص ,٦٣

(١٣) المصدر ذاته، ص ٦٣ - ,٦٥

(١٤) الهمداني، الصليحيون، ص ,٢١

(١٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج ١٦، قسم١ ص ,١٧ ولم يورد العمري أي تخصيص لهذه الدعوة.

(١٦) المصدر ذاته، ج١٦، قسم١ ص ,١٧

(١٧) Robertson, Sana Past and Present, The Moslem World, vol. 33P.53.

(١٨) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٥.

(١٩) Brockelman, History of the Islamic Peoples, P.142

(٢٠) صعدة: مخلاف باليمن إلى الشمال من صنعاء وبينهما ستون فرسخا، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٤٠٦ .

(٢١) الهمداني، الصليحيون، ص ,٢٥

(٢٢) Hart,Basic Chronology.., The Middle East Journal, vol ,17 .146

(٢٣) Brockelmann, History of the Islamic Peoples, P. 143

العبارة منقولة عن الترجمة العربية للكتاب، طبعة ٣، ج٢، ص ٧١ - ٧٢.

(٢٤) Hart, OP. Cit., Vol. ,17 b. 146

(٢٥) عارف تامر، القرامطة، ص ,١٤٠

(٢٦) يتفق جمهور المؤرخين على أن حركة القرامطة في العراق وسورية كانت جزءاً من الدعوة الاسماعيلية، وأنها أسم آخر لهذه الدعوة، وأن انفصال القرامطة عن الاسماعيلية كان في التسعينات من القرن الثالث الهجري عندما هاجر محمد المهدي (أو عبيد الله المهدي) من سلمية إلى المغرب: وقد عالج عبد العزيز الدوري هذا الموضوع باسهاب مورداً مختلف الروايات والآراء في كتابة، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص ١٥٥ وما بعدها، انظر أيضاً، الطبري، تاريخ الامم، ج١١، ص٣٣٧ وما بعدها، ابن النديم، الفهرست، ص ١٨٧، الشهرستاني، الملك والنحل، في هامش الفصل في الملل والأهوء والنحل لابن حزم، ج٢، ص٢٩ أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، ص ١١

- ١٧، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٤٤ ومابعدها. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص ٢٠٤ وما بعدها. عارف تامر، القرامطة، ص ٦١ وما بعدها.

(٢٧) المقريزي، اتعاظ لحنفا، ص ٢٢٣,

(٢٨) اورد البغدادي ذكر الصناديقي، ولكن يعني به ابن حوشب لأنه يُشرك معه علي بن الفضل في دعوته هذه، الفرق بين الفرق، ص ٢٨٩,

(٢٩) المقريزي، اتعاظ، ص،٢٢٢

(٣٠) الدواداري، الدرة المضيئة، ص ٦٣، والنرس قرية صغيرة في نواحي الكوفة على نهر صغير يتفرع من نهر الفرات، وتنسب إليها الثياب النرسية، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٨٠,

(٣١) تامر، القرامطة، ص ١٣٩، المقريزي، اتعاظ، ص ٢٢٣,

(٣٢) المقريزي، اتعاظ، ص ٢٢٢، وسنلاحظ أن مثل هذه لاعمال قد نُسبت إلى علي بن الفضل بعد فتحه لمدينة المذيخرة ثم صنعاء سنة ٢٩٤هـ.

(٣٣) يذكر عارف تامر أن الخليفة القائم بالله العباسي هو الذي أرسل الطبيب المذكور. القرامطة، ص ١٣٩,

(٣٤) المقريزي، اتعاظ، ص٢٢٣,

(٣٥) المصدر ذاته، ص ٢٢٣، وهذه النهاية شبيهة بنهاية دعوة ابن الفضل بعد ثورته على ابن حوشب وتفرّده بحكم اليمن من ٢٩٩ - ٣٠٣هـ.

(٣٦) الحمادي، كشف أسرار الباطنية، ص ٢٨ - ٣٨,

(٣٧) انظر أعلاه ص ١٨ - ١٩ .

(٣٨) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ج٢ ص٦٩,

(٣٩) Hart,OP.Cit. Vol.17,P.146

(٤٠) وهي الدعوة التي مر ذكرها عند ابن فضل الله العمري.

(٤١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ج١، ص٧٢- ٧٣, سرور، النفوذ الفاطمي،ص١ (٤٢) بروكلمان، تاريخ، ج٢، ص١٤٢,

(٤٣) مدينة مشهورة في جنوبي غربي اليمن إلى الشرق من ساحل غلافقة. ياقوت،معجم، ج٣، ص١٣١,

(٤٤) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص ٢٤٧,

(٤٥) سرور، النفوذ الفاطمي، ص٥٩؛ و Hart, OP.Cit.,vol. ,17 p. 146

(٤٦) هناك أربعة مواضع في اليمن تعرف بهذا الاسم، وهي: شبام حضرموت، شبام حرز، شبام سخيم ، وشبام كوكبان. ياقوت، معجم، ج٣ ص ٣١٨ ولاندري من أي موضع هو بالتحديد.

(٤٧) العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٣,

(٤٨) بروكلمان، تاريخ، ج٢، ص ١٤٢,

(٢٩) أحمد شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٨٦ - ١٨٧,

(٥٠) عارف تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج١، ص٢٧١؛ Harts,OP.Cit, Vol,17 p146

(٥١) محمود، تاريخ اليمن، ص ١٣١,

(٥٢) الهمداني، الصليحيون، ص ٢٨؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ٥٩,

(٥٣) الشرفي، اللآلي المضية، ج٢، ورقة ٨٤,

(٥٤) Stroth mann, «San's,» Encyclopaedia of Islam, vol. ,4 p. 145

عارف تامر،تاريخ الاسماعيلية، ج١ ٢ص٢٧١ - ٢٧٢,

(٥٥) الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص٢٢,

الفصل الثاني

شخصية ابن حوشب واعتناقه للاسماعيلية

١- نشأة ابن حوشب حتى اعتناقه للاسماعيلية:

كنا نتمنى لو كان في الامكان الحصول على معلومات كافية ووافيه تساعدنا في توضيح جوانب شخصية ابن حوشب وتسليط الضوء عليها. ويعود هذا الامر إلى أن المؤرخين والمترجمين أهملوه ولم يتعرضوا له، ومن ذكره لم يكتب عنه الكثير. وشمل هذا الاهمال شخصية مساعدة في الدعوة في اليمن، علي بن الفضل. كما ان المعلومات التي وردت في ترجمة الامام الحسين بن أحمد الذي أرسل ابن حوشب إلى اليمن هي الأخرى ضئيلة جداً ولا تتعدى كونها اشارات عابرة إلى بدء الدعوة في اليمن على يدي ابن حوشب.

آ- اسمه وأصلـه:

من الملاحظ أن أسم ابن حوشب ورد على عدة صور عند المؤرخين، وأحياناً نلاحظ اشكالاً متعددة لذات الاسم عند المؤرخ الواحد، فالقاضي النعمان، وهو أقربهم زمنياً إلى ابن حوشب، يقول بهذا الصدد:«وصاحب دعوة اليمن

هو ابو القاسم الحسن فرج بن زادان الكوفي.(١)»والحمادي اليماني يسميه «المنصور الحسن بن زادان.(٢)»أما البهاء الجندي فيسميه«منصور بن زادان بن حوشب بن الفرج بن المبارك(٣)»ويذهب إبن الأثير إلى القول بأنه«رستم بن الحسين بن حوشب بن داذان النجار.»ويذهب ابن خلدون أبعد من ذلك فيتكلم عن ابن حوشب باسمين مختلفين في الجزئين الثالث والرابع من كتابه العبر، فعند حديثه عن بدء الدعوة العبيدية في شمال افريقية وأصل هذه الدعوة، يذكر ابن حوشب على أنه«رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجار(٥)»وفي معرض كلامه عن الاسماعيلية يقول هو«ابي القاسم الحسين بن فروخ بن حوشب الكوفي.(٦)»وذكر المقريزي ثلاثة أسماء مختلفة لابن حوشب تختلف هي بدورها عن الاسماء التي ذكرها ابن خلدون ومن سبقه. ففي كتابه الاتعاظ يقول هو «أبوالقاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي(٧)» وفي الخطط يقول أنه«أبو القاسم الحسين بن فرج حوشب الكوفي.(٨)»وفي نفس الصفحة يذكر أنه «الحسن بن حوشب(٩)» وحسب. ويرى الداعي عماد الدين ادريس ان ابن حوشب هو«الحسن بن الفرج بن حوشب المنصور.(١٠)»ويذهب آخرون إلى تسميته بمنصور بن حسن.(١١) ومن المؤرخين المحدثين من أخذ بشكل أو بآخر، فالهمداني يقول «هو أبو القاسم بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي.(١٢)» وحسن ابراهيم يذكره على أنه «أبو القاسم الحسن بن أبي الفرج، ويعرف بابن حوشب.(١٣)»

وهذا الاختلاف في الأشكال التي ورد بها اسم ابن حوشب يجعل تقرير صحة أحداها أمراً ليس بالسهل، ولكننا نميل إلى قبول ما أورده القاضي النعمان في ذلك، لأن القاضي النعمان هو أقرب المؤرخين الذين كتبوا عن ابن حوشب من حيث الفترة الزمنية، فقد عمل النعمان قاضيا لقضاة الدولة الفاطمية خلال عهد الأئمة الخلفاء القائم بأمر الله والمنصور والمعز(٢٩٧هـ/٩٠٩- ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، ولأنه ينقل أخبار هذا الداعي عن أهل العلم والثقة من أصحابه(١٤)، أي أصحاب ابن حوشب ومن هؤلاء ولده جعفر المنصور الذي تبوأ مراتب عاليه عند الأئمة الخلفاء بعد أن اضطر إلى مغادرة اليمن نتيجة انقلاب أخيه الأكبر، الحسن، على دعوة أبيه منذ سنة (٣٣٦)هـ.

أما لقبه فهو منصور اليمن أو المنصور وبه يعرف عند عدد من المؤرخين أيضاً،(١٥) وقد اكتسبه بعد نجاحه في نشر الدعوة الاسماعيلية في اليمن، وفي ذلك يقول القاضي النعمان:« وسمي المنصور باليمن لما أتيح له من النصر، وكان إذا قيل له ذلك قال لهم: المنصور أمام من أئمة آل محمد صلى الله عليه وسلم، أما سمعتم قول الشاعر:

اذا ظهر المنصور من ال احمد فقل لبني العباس قوموا على رجل(١٦)»

ويبدو أن ابن حوشب قد استحق هذا اللقب نظراً لأعماله الباهرة في اليمن. فقد أشار الخطاب إلى منجزات أبن حوشب العظيمة وفضله المشكور على الدعوة، فقال عنه:«وكان بمثابة الفجر المتنفس وبه كشف الله عز وجلّ عن الآولياء الغمة وأثار حنادس الظلمة...(١٧) ».

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن أصل ابن حوشب فإننا نجد أن مصادرنا تكاد تخلو من أي ذكر لهذا الأصل، وإذ ماصدف وورد فيها شيء فإنه لايتعدى الإشارة إلى موطنه(١٨)، أو نسبه.(١٩)

وقد يكون هذا الغموض عائداً إلى عدم اهتمام المؤرخين والمترجمين المسلمين بحياة الاعلام الأولى، أو أنه متعلق بطبيعة الحركة الفاطمية في ذلك الوقت، حيث اتصفت بالسرية والغموض، وبما أن أبن حوشب كان أحد أكبر دعاتها، فمن الممكن أن يكون قد لحقه مالحق أصحاب هذه الدعوة وأئمتها من اضطراب وغموض في الأصل والمنشأ. ولكن إذا كنا لانتوقع أن يهتم المؤرخون المسلمون السنة بشخصيات الحركة الفاطمية لاختلافهم معهم في المذهب، فإننا نتوقع أن نجد شيئاً عند بعض من كتبوا من الاسماعيلية عن هذه الدعوة وشخصياتها ومثل ذلك نتوقعه عند القاضي النعمان الذي تعتبر كتاباته من أهم ما وصلنا عن ابن حوشب ودعوته لأنه واسع الاطلاع على شؤون الدعوة، وشغل مناصب رفيعة في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، بالاضافة إلى انه ينقل معلومات عن أهل العلم والثقة من أصحاب ابن حوشب، حسب قوله هو في

ذلك.(٢٠) ومع ذلك فلا نجد شيئاً يستحق الذكر. فكل ما قاله في ذلك هو أن ابن حوشب «كان من أهل الكوفة، من أهل بيت علم وتشيّع(٢١).»

ويضيف الحمادي اليماني المعروف بعدائه للحركة الفاطمية إلى ماذكره النعمان قوله:

«وكان ينسب إلى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب..(٢٢)» أما البهاء الجندي فإنه يتوسع قليلاً ويذكر أن ابن حوشب كان من كربلاء وانه «من ولد عقيل بن أبي طالب، كان جده زادان احد أعيان الكوفة، وسكّن أولاده على تربة الحسين.(٢٣)» واكتفى مؤرخون آخرون بنسبته إلى الكوفة، ولم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث والتنقيب عن أصله(٢٤). بينما يؤكد د. دفتري (Daftry) ان ابن حوشب هو من الكوفة، وأنه من عائلة شيعية امامية عريقة(٢٥). وهكذا نجد أن هناك شبه إجماع على ان ابن حوشب من الكوفة، وأشارة النعمان إلى أنه من أهل بيت علم وتشيّع، اضافة إلى الاشارات الأخرى التي تقول بأن جده من ولد عقيل بن أبي طالب تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه كان ينتسب إلى بيت آل رسول الله(ص). ومما يؤكد هذا الأعتقاد اهتمام الامام المستور الحسين بن أحمد، به وتقديره له بعد اعتناقه للاسماعيلية، كما سنرى فيما بعد، وتفويضه بأمور الدعوة في اليمن، وبتدريب الدعاة وإرسالهم إلى مختلف المناطق(٢٦). وهناك اشارة لابن خلدون تفيد بأن ابن حوشب هو أحد أبناء أبي سعيد الجنابي(٢٧)، ولكنها اشارة غريبة وغير مقبولة، لأن ابن خلدون يتفرّد بذكرها من جهة، ولأن الجنابي من أصل فارسي،(٢٨) بينما ابن حوشب كوفي علوي وينتسب إلى عقيل بن أبي طالب من جهة أخرى.

ب ـ نشأته وعلومه:

تبرز مشكلة عدم توفر المعلومات الكافية لالقاء الضوء على نشأة ابن حوشب الأولى بشكل أوضح هنا، وذلك لأننا لم نجد الأسس الكافية التي تمكننا من بناء بعض الافتراضات حول هذه النشأة، أو لاستنتاج ما يساعدنا على توضيح ذلك. وأول ما يعترضنا هو عدم معرفتنا بتاريخ ولادة هذا الداعي الكبير، وذلك

إمّا لتجاهل المؤرخين لسنة الولادة، أو لعدم معرفتهم بها. ويشمل ذلك أصحاب المصادر الأولية والثانوية على السواء.(٢٩) لكن قد تستطيع ترجيح سنة الولادة بالاعتماد على سنة تكليف ابن حوشب بالدعوة في اليمن. فالمعروف أن دخول ابن حوشب اليمن للقيام بالدعوة كان في أول سنة ٢٦٨/٨٨١م(٣٠)، وأنه ليس من المعقول أن يكون ابن حوشب دون سن البلوغ في ذلك التاريخ. ولابد أنه كان شاباً ناضجاً كي يُعهد إليه بمثل هذه المهمة. وهذا مايمكن استنتاجه من سياق قصة اعتناق ابن حوشب للمذهب الاسماعيلي، ومعاملة الامام المستور، الحسين بن أحمد، له أثناء تدريبه وتأهيله في مدرسة الدعوة الفكرية في سلمية.(٣١) وإذا كان الأمر كذلك فتكون سنة الولادة حوالي (٢٣٥هـ).

وينطبق الأمر ذاته على البحث في نشأة ابن حوشب الأولى، إذ ليس في مصادرنا أي ذكر لطبيعة هذه النشأة، أو للعلوم التي تلقاها في هذه الفترة، أو للشيوخ الذين درس عليهم وأخذ معارفه عنهم، إلاّ أن إشارة القاضي النعمان إلى أن ابن حوشب من اهل بيت علم وتشيّع(٣٢) تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه أخذ علومه عن آبائه وأجداده، وتكون تربيته تربية عائلية أبعدت عنه تأثير شخصيات علمية خارجية.

كما يبدو أنه تعلم ودرس في الكوفه، موطنه ومكان نشأته الأولى، لأنه ليس لدينا أية إشارة إلى أنه طلب العلم في مكان آخر.

ويبدوا أنه اتجه في تحصيله للعلوم وجهة دينية تركزت على دراسة علوم القرآن والحديث والفقه.(٣٣) لكنه لم يكن ليسلّم بأمور بعيدة عن الواقع والمنطق. ولذلك نراه، كما جاء في حديثه عن قصة اعتناقه للمذهب الاسماعيلي،(٣٤) يترك مذهب الامامية الاثنا عشرية لأنه لم يستطع تقبّل ما أورده أتباع هذا المذهب حول قصة غيبة الامام الثاني عشر، هذه الغيبة التي طالت اكثر مما توقع ابن حوشب، والتي كانت سبب تحول الكثيرين من أمثاله إلى المذهب الاسماعيلي. يضاف إلى ذلك الاخلاص الذي أظهره للعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه قبيل رحيله إلى اليمن، مما يؤيد ميلنا إلى الاعتقاد بأن نشأته الأولى غلب عليها طابع الدين، وأن أثر هذه النشأة ظهر في أعماله وأفعاله خلال الفترة التالية من

حياته. ويُستدل على ذلك من خلال مساهمته في الحياة العلمية للدعوة الاسماعيلية بعد أن تشبّع بأفكارها وعقائدها أثناء فترة تأهيله في مدرستها الفكرية السرية في سلمية. وكان أن كتب، وهو في اليمن فيما بعد، بعض المصنفات التي تبحث في أصول العقيدة الاسماعيلية، وأسسها الفكرية، وأهم ما وصلنا من هذه المصنفات كتاب الرشد والهداية الذي يقول عنه ايفانوف(٣٥) أنه غير موجود بكامله وإنما وصلتنا قطع متفرقة منه، ويتضمن مباحث تمثل ملامح المدرسة الفكرية التي سادت زمن القرامطة في القرن الثالث الهجري. كما ينسب إليه كتاب العالم والغلام الذي ينسب إلى ولده جعفر المنصور أيضاً. وهو أيضاً يتضمن ذات الملامح الفكرية الواردة في الكتاب السابق جرى تصنيفها على نموذج القصص الشعبي.(٣٦)

٢- تحوّل ابن حوشب إلى المذهب الاسماعيلي:

تجدر الاشارة، قبل ذكر قصة اعتناق ابن حوشب للمذهب الاسماعيلي، إلى وجود إختلاف ظاهر بين المؤرخين حول شخصية الامام الذي اتصل به ابن حوشب، وحول نسبه أيضاً. ومردّ هذا الاختلاف هو دور الستر الذي مرت به الحركة الاسماعيلية في ذلك الوقت لأن خلفاء بغداد كانوا يطاردون اتباع هذه الدعوة وأئمتها في شتى أرجاء الامبراطورية العربية الاسلامية. ولذلك اضطر هؤلاء الائمة إلى تسمية أنفسهم بأسماء مختلفة كانوا يطلقونها على كبار دعاتهم أيضاً لتضليل العباسيين، ولاخفاء حقيقة هوياتهم مما أوقع الالتباس عند المورخين الذين كتبوا عنهم، فجعلوا يخلطون بين الأئمة ودعاتهم. وأدّى ذلك، بالتالي، إلى نشوء «مشكلة النسب الفاطمي»(٣٧) التي ظهرت بعد قيام الدولة الفاطمية في المغرب بأكثر من قرن من الزمان.(٣٨)

وهذا الاختلاف الظاهر بين المؤرخين حول شخصيات أئمة دور الستر وأنسابهم، يجعل أمر تقرير شخصية الامام الذي اتصل بابن حوشب مربكاً إلى حد ما. على أن مناقشة هذه الآراء والروايات تجعلنا مع الأخذ بصحة نسب محمد المهدي الفاطمي (أو عبيد الله المهدي كما اعتاد المؤرخون غير الاسماعيليين

تسميته)، وتحديد، بالتالي، شخصية القائم بأمر الدعوة زمن ابن حوشب، ونعني به الامام الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق.(٣٩)

وتحديد تاريخ لقاء ابن حوشب بالامام الحسين بن أحمد أمر عسير أيضاً، لأن مصادرنا لاتذكر هذا التاريخ. واضطراب سني وفيات أئمة دور الستر يزيد الامر صعوبة وتعقيداً، إذ لوكنا نعرف ذلك لأمكننا استنتاج مثل هذا التاريخ(٤٠). غير أن وجود إشارة إلى تاريخ خروج علي بن الفضل، مساعد بن حوشب في الدعوة فيما بعد، إلى الحج عند القاضي النعمان يساعدنا في تحديد تاريخ اللقاء على وجه التقريب. فالقاضي النعمان يذكر أن ابن حوشب أصبح مقرباً إلى الامام بعد تحوله إلى الاسماعيلية، وأن الامام قال له في أحد الأيام:

يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله؟ فقال ابن حوشب: يامولاي الأمر إليك فما أمرتني به امتثلته. فقال الامام: اصبر كأني برجل قد أقبل إلينا من اليمن، وما لليمن إلا أنت؟(٤١)

ثم يذكر أن الرجل الذي كان الامام بانتظار وصوله هو علي بن الفضل، وأنه خرج من اليمن سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م(٤٢). وبعد انقضاء موسم الحج في مكة، توجه إلى الكوفة حيث التقى الامام الحسين بن أحمد في تلك السنة أو السنة التي تلتها. وعلى هذا الأساس يكون ابن حوشب قد أصبح من المقربين إلى الامام الاسماعيلي في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م، ويكون تحوله إلى الاسماعيلية قد تم قبل هذا التاريخ بفترة قصيرة ربما لم تتجاوز السنة.

وتجمع مصادر هذه الدراسة على أن مكان لقاء ابن حوشب بالامام المستور الحسين بن أحمد، كان في الكوفة. لكنها تختلف حول الكيفية التي تم بها هذا اللقاء. فالحمادي اليماني يذكر أن الامام عندما رأى ابن حوشب «علم أنه مسعود وانه ينال شرفاً وملكاً. وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة فجعل ميمون (٤٣) يلطف به ويرفق فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم فلم يزل به حتى قبل منه وركن إليه

وإلى قوله ومازال به حتى مال إلى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون إليه وإلى ولده»(٤٤)

وفي رواية يحيى بن الحسين في غاية الأماني، نجد أن ابن حوشب اعتنق الاسماعيلية هو وعلي بن الفضل في وقت واحد، إذ يذكر أنه عندما قام ابن الفضل بزيارة ضريح الحسين بن علي في كربلاء، أظهر الندامة والبكاء مما لفت نظر الامام المستور الذي

«ظهر له من أبن الفضل ومنصور بن حسين مخايل الشهامة، فأطلعهما على سره، وعرّفهما حقيقة أمره، وأوهمها أن المهدي ولده، وأن نسبه يتصل بأمير المؤمنين علي عليه السلام..فوجدهما قابلين لقوله فأخذ عليهما العهود الوثيقة وعرّفهما حقيقة مذهبه، ثم أمرهما بالمسير إلى اليمن.(٤٥)».

أما الرواية التالية فهي من أهم الروايات لأن راويها، القاضي النعمان، ينقلها عن أصل الثقة من أصحاب ابن حوشب من جهة، ولأنه أقرب زمنياً إلى صاحب الدعوة من كل الذين كتبوا عنها وأرّخوا لها، من جهة ثانية، وهي الرواية التي اعتمدها عدد لابأس به من المؤرخين المحدثين(٤٦) من جهة ثالثة. وقد أوردها القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة،(٤٧) ونقل الداعي عماد الدين أدريس نصّها بكامله في كتابه عيون الأخبار.(٤٨)

يشير القاضي النعمان في البداية إلى حقيقة أن ابن حوشب كان من الاثنا عشرية، أصحاب محمد بن الحسن العسكري، الامام الثاني عشر الذي غاب واختفى سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٩م ولم يعد إلى أصحابه كما كان متوقعاً. ولما طال غياب الامام محمد، بطل ذلك في أيدي كثير من الشيعة الاثنا عشرية، وابن حوشب من هؤلاء. وتذكّر ابن حوشب في أحد الأيام قول الفهري:

الا ياشيعة الحق	ذوي الايمان والبر
اتتكم نصرة الله	على التخويف والزجر
فعند الست والتسعين	قطع القول والعذر

لامر ما يقول الناس   بيع النز بالبعر

يتيم كان خلف الباب   فانقضّ على الوكر

فرأى أن الوقت قد قرب حسب قول الفهري، وأن المهدي لابد وأن يظهر ليعيد الحق والعدل إلى نصابه، ويهزم قوى الشر والظلم. وكان يخرج إلى شاطىء الفرات ليتفكّر بالأمر. وبينما هو في أحدى هذه الجولات حضر وقت الصلاة، فصلى وأخذ يقرأ القرآن. وبينما هو كذلك إذ أقبل عليه شيخ ومعه رجل ما إن نظر إليهما حتى قطع قراءة القرآن لهيبة الشيخ. قال:

فقطعت القراءة لهيبته وبقيت انظر إليه إذ أقبل غلام يمرح في مشيته فقرب مني فأنكرت ذلك عليه إجلالاً للشيخ، فلم يلو عليّ فقلت: من أنت يابني؟ فقال: حسيني، فاستعبرت وقلت: بأبي الحسين صلوات الله عليه المضرّج بالدماء الممنوع من هذا الماء، قال فرأيت الشيخ نظر إلي عند ذلك، وتكلم الرجل الذي بين يديه كلاماً لم أفهمه، فقال لي الرجل: تقدم إلينا ـ رحمك الله ـ فقمت إليه حتى جلست بين يدي الشيخ، فرأيت دموعه تسيل على لحيته، أظنه عند ذكري الحسين صلوات الله عليه، وقال لي: من أنتَ الذي تذكر الحسين بما ذكرته؟ قلت: رجل من الشيعة، قال: ما أسمك؟ قلت: الحسن بن فرح بن حوشب، قال: اعرف أباك من الشيعة الاثني عشرية، قلت : نعم، قال: فأنت علي ذلك؟ فسكت. قال: تكلم فأنا من أخوانك، قلت: كنت فيمن كان على ذلك إلى أن بطل الأمر في أيدينا وما أخرجني إلى هذا المكان إلاّ ضيق صدري بذلك...(٤٩)

وأخبره ابن حوشب بما يجول في خاطره، وتكلم الشيخ معه بمسائل قرآنية ودينية أثارت في خاطره الرغبة لمعرفة أجوبتها، ولكن محدثه لم يفصح معه مما جعله يزداد رغبة للمعرفة، وعند ذلك تركه الشيخ على أمل اللقاء في اليوم التالي ليوضح له ما غمض عليه من المسائل. وعاد أبن حوشب في اليوم التالي إلى ذات المكان، ولكن الشيخ لم يحضر، وطال انتظاره له، وامتد الأمر أياماً كثيرة حتى وصل الحال به إلى حد اليأس من رؤية الشيخ. وعندما شاهد الرجل الذي كان مع الشيخ تعلّق به وسأله عن سبب غيبة الشيخ فتلطف به الرجل وتحدثا بأمور كثيرة أظهرت معرفة الرجل وتعمّقه في المسائل التي غمضت على أبن حوشب. ولما أظهر

ابن حوشب تعلقاً ظاهراً به أخذ الرجل عليه العهد ثم أخبره أن الشيخ هو أمام الزمان، وفي ذلك يقول:

وما زلنا حتى أخذ علي العهد وعرّفني أن الشيخ هو امام الزمان، وفتح لي من المعرفة كثيراً، وعرّفني الموضع وجمع بيني وبين الامام، وكان يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ودنوّ العصر...(٥٠)

وهكذ نرى أنه كان عند ابن حوشب استعداد نفسي لقبول الدعوة الاسماعيلية بعد أن فقد الأمل بعودة الامام الثاني عشر الغائب. وعندما وجد ضالّته فيما ألقاه إليه الشيخ الامام أظهر كل تعلق به ولم يتردد في إعطاء العهود والمواثيق ليصل إلى الحقيقة التي ينشدها. وكان لإخلاصه وطاعته أثرهما في ان أصبح من المقربين عند الامام الحسين بن أحمد، الذي وجد فيه هو الآخر الرجل المناسب ليقوم بالدعوة له ولولده المهدي. واصطحبه الامام معه إلى سلمية ـ مقر إقامته ومركز دعوته السرية ـ ليتلقى العلوم الفكرية والتدريب العملي. ولم تنقض سنتان على هذا اللقاء حتى كان ابن حوشب قد وصل درجة رفيعة في الدعوة، وأصبح مهيأ للذهاب إلى اليمن ليترأس أمور الدعوة هناك، وليؤسس أول دولة اسماعيلية في ذلك البلد.

حواشي الفصل الثاني:

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص,٣٢

(٢) الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص،٢٢ وكذلك فعل الخزرجي الذي ينقل عن الحمادي وسماه منصور بن حسن الاسجد المسبوك. وقد نشر سهيل زكار الفصل المتعلق بقرامطة اليمن في: اخبار القرامطة في الاحساء - الشام - العراق - اليمن، ص ,٤١٥ وسنشير إلى هذا المصدر بعد ذلك باسم: زكار، أخبار القرامطة.

(٣) الجندي، السلوك، ص ١٤٠

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج،٨ ص,٣٠

(٥) ابن خلدون، العبر، ج،٣ قسم، ص ,٧٦٠

(٦) المصدر ذاته، ج،٤ قسم،١ ص,٦٨

(٧) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص,٦٨

(٨) الخطط، ج،٢ ص,١٦٠

(٩) المصدر ذاته، ج،٢ ص,١٦٠

(١٠) ادريس، زهر المعاني، ص,٢٥٢

(١١) ومنهم ابن المؤيد اليمني، أنباء الزمن، ص٣٨؛ يحيى بن الحسين، غاية الاماني، قسم،١ ص١٩١؛ الشرفي، اللآلي المضية، ج،٢ ورقة,٨٤ وأغرب القاضي العرشي فقال: هو منصور بن حسن جيوشب (الجيم) من باذان.

بلوغ المرام، ص ,٢٢

(١٢) الهمداني، الصليحيون، ص,٢٩

(١٣) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ،٤٠١ وأنظر: سرور، النفوذ الفاطمي، ص ,٦٠

(١٤) النعمان، افتتاح، ص ٣٣,

(١٥) منهم عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص ٥، كما ان الحمادي يستعمل المنصور خلال معظم حديثه عن الدعوة الاسماعيلية في اليمن. وورد هذا الاسم في نهاية كتاب الرشد والهداية المنسوب لابن حوشب والذي نشره محمد كامل حسين في Collectanea، الجزء١، ١٩٤٨، ص١٨٩ - ٢١٣

(١٦) النعمان، افتتاح، ص ٣٢ - ٣٣

(١٧) سيدنا الخطاب، غاية المواليد. فصل نشره ايفانوف في:**Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fahimids, P.36**

(١٨) انظر مثلاً: النعمان، افتتاح، ص٣٣؛ نشوان الحميري، الحور العين، ص ١٩٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص ٦٨,

(١٩) الحمادي اليماني، كشف أسرار الباطنية، ص ٢٥، البهاء الجندي، السلوك، ص ١٤٠

(٢٠) النعمان، افتتاح، ص ٣٣,

(٢١) المصدر ذاته، ص ٣٣,

(٢٢) الحمادي، كشف، ص ٢٢,

(٢٣) الجندي، السلوك، ص ١٤٠,

(٢٤) من هؤلاء: أبي الفداء، المختصر، ج٢، ص٦٤؛ يحيى، غاية الاماني، قسم١، ص ١٩١؛ نشوان، الحور العين، ص ١٩٧؛ الشرقي، اللآلي المضيئة، ج٢، ورقة ٧٧، ابن خلدون، العبر، ج٣، قسم٣، ص ٧٦٠؛ بن الاثير، الكامل، ج٨، ص ٣٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص ٦٨؛ الهمداني الصليحيون. ص ٣٠,

(٢٥) **Daftry, The Ismailis, P. 118**

(٢٦) النعمان، افتتاح، ص ٣٨، ٤٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص ٦٨؛ ادريس، عيون الأخبار، ج٤، ص ٦٣٠.

(٢٧) ذكر ابن خلدون في حديثه عن الاسماعيلية مايلي: ومن هؤلاء الاسماعيلية القرامطة، واستقرت لهم دولة في البحرين في أبي سعيد الجنابي وبنيه ابي القاسم الحسين بن فروخ بن حوشب الكوفي داعي اليمن لمحمد الحبيب، ثم ابنه عبد الله ويسمى المنصور.. العبر، ج٤، قسم١ ص٦٢.

(٢٨) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٢١٤.

(٢٩) ويشذّ عن هؤلاء مصطفى غالب الذي يذكر أن سنة ولادة ابن حوشب كانت في ٢٣٠هـ، ولكنه لايشير إلى المصدر الذي أُخذ عنه هذا التاريخ، وربما استنتج ذلك عن طريق التخمين. اعلام الاسماعيلية، ص ٢٣٣.

(٣٠) النعمان، افتتاح، ص٤٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص ٦٨، والخطط ج٢، ص ١٦٠.

(٣١) انظر النعمان، افتتاح، ص ٣٣ - ٣٨.

(٣٢) المصدر ذاته، ص٣٣.

(٣٣) النعمان، افتتاح، ص٣٣؛ وأدريس، عيون الاخبار، ج٤، ص٦٢٥.

(٣٤) المصدر ذاته، ص ٣٣ - ٣٨.

(٣٥) V.Ivanow, A Guide to Ismaili Literature, P.18& Ivanow, OP. Cit., P.18

(٣٦) Ivanow,OP.Cit. p.18.

(٣٧) ان التشكيك بصحة انتساب محمد المهدي، مؤسس الدولة الفاطمية وأول الخلفاء الأئمة، إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، سادس أئمة الشيعة، لم يظهر بشكل رسمي إلاّ بعد صدور محضر بغداد الشهير عن الخليفة القادر بالله العباسي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م زمن الخليفة الامام الحاكم بأمر الله

الفاطمي، ويطعن هذا المحضر بصحة النسب الفاطمي للحاكم بامر الله، بشأن هذا المحضر انظر:

ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج،١١ ص ٣٤٥ - ٣٤٦؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص ٥٨ - ٥٩.

وبعد صدور المحضر انقسم المؤرخون حول نسب الخلفاء الفاطميين إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى تطعن بنسب المهدي وترى أنه ينتسب إلى ميمون القداح مؤسس الفرقة الميمونية، ومن هؤلاء:

ابن سعد، صلة تاريخ الطبري، ص ٥٢؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٨٦؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج،٤ ص٢٩٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ج،١٦ قسم،١ ص،٥٦ ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٣٨؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، قسم،١ ص ١٩١؛ ابي الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج،٢ ص٦٤؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، ج،١ ص٢٥١؛ الحمادي، كشف، ص ١٩،١٨؛ البهاء الجندي، السلوك، ص ١٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج،٤ ص٧٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج،١١ ص١٨٠؛ الشرفي، اللآلي المضية، ج،٢ ورقة٨٤؛ القرماني، أخبار الدول، ص ١٨٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج،٢ ص٣٠١ - ٣٠٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج،١ ص ١٩٠ - ١٩١.

والفئة الثانية تؤيد صحة النسب الفاطمي وهم من المؤرخين السنة الذين حاولوا الرد على أقوال الفئة الأولى ومنهم:

محمد بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص٦؛ابن الأثير، الكامل، ج،٨ ص٢٦؛ ابن خلدون، العبر، ج،٣ قسم،٣ ص٧٥٧؛ المقريزي، الخطط، ج،٢ ص،١٥٩ اتعاظ الحنفاء ص٢٥ - ٤٠.

أما الفئة الثالثة فهم المؤرخون الذين ينتمون إلى الحركة الفاطمية،وعاشوا في فترة زمنية قريبة جداً من عهد تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب، ولا يظهر في

كتاباتهم أدنى شك بصحة نسب محمد المهدي، ومنهم:

جعفر بن منصور اليمن، كتاب الفرائض وحدود الدين، فصل منه نشره الهمداني في: في نسب الخلفاء الفاطميين، ص١١؛ القاضي النعمان افتتاح الدعوة، ص ١٤٩ وما بعدها؛ اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص١٠٧ - ١٣٣، النيسابوري، استتار الامام، ص٧٩ - ١٠٧,

وأما المؤرخون المحدثون، فقد أوردوا مختلف الروايات التي تؤيد صحة النسب وتلك التي تشكك فيه، وانقسموا بين مؤيد ومشكك ومتردد في قبول أحداهما، فمن المؤيدين لصحة النسب:

عارف تامر، القرامطة، ص٥٣؛ وتاريخ الاسماعيلية، ج١، ص٢٦٨ - ٢٧٠ مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الاسماعيلية، ص١٨٢، عطية مشرفه، أحساب الدولة الفاطمية، مجلة المقتطف، مجلد ١٠٨، ص٥٦ - ٥٩,

W.Ivanow, Ibnal Qaddah, P. 12O .P.Mamour,. Polemics PP.68
F.Daftary, The Ismailis , P.118 ومابعدها , P.551

ومن الطاعنين بصحة النسب:

العرشي، بلوغ المرام، ص ٢١ - ٢٢؛ العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص٤٠٨؛
B.Lewis, The Origins of Ismailism, pp, 71 ,73 J.Walker,
«Al - Mahde,»Eny.og - Islam, vol.3p.120 دروزي ودي غويه ووردت

أراؤهما في تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن، ص ٥٩ - ٦٠, ومن المترددين في قبول صحة النسب:

حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٧ - ٦٧؛ عبيد الله المهدي، ص٨٢؛ وستنفلد، وقد ورد رأيه في تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٩،

W.MUIR. The Caliphate .P.566 D.S.Margoliouth. the Fatimids, Ency-Britannica, II th.ed vol.10p.202

(٣٨) وقد أشار الداعي عماد الدين ادريس إلى ذلك فقال: وكان الدعاة أيام الأئمة المستورين منذ استتار الامام محمد بن اسماعيل(ع) يسمونهم بغير أسمائهم، ويختلفون في الاسماء اخفاء لأمر الله، وستراً لاوليائه لتغلب الأضداد، وقوة أهل العناد، ولذلك وقع الاختلاف في الائمة المستورين، وكثر خوض الخائفين وقول القائلين، عيون الاخبار، ج،٤ ص٣٩٣ - ,٣٩٤

(٣٩) وقد تم قبول صحة النسب بناء على روايات أولية اسماعيلية وردت عن أشخاص عاشوا مع الامام محمد المهدي، مؤسس الدولة الفاطمية وآخر أئمة دور الستر وأول أئمة دور الظهور، و في زمن قريب منه؛ أي قبل ظهور مشكلة النسب الفاطمي بزمن طويل، ولذلك فهي بعيدة عن تهمة الغرض والغاية لأنها لم تكتب عن شيء مشكوك فيه بل أوردت وقائع من اجل التاريخ، ثم أن مؤرخين غير اسماعيلين دافعوا عن صحة هذا النسب وناقشوا مختلف الروايات الطاعنة، وردّوها لأنه وضعت من اجل إضعاف هيبة الخلفاء الفاطميين الذين اقتطعوا الجزء الأكبر من الامبراطورية العربية الاسلامية الخاضعة لبني العباس، بعد فشل خلفاء بغداد في مقاومة الخلافة الفاطمية بالقوة، انظر آراء الفئة الثانية من المؤرخين المسلمين السنة في الهامش(٣٧) أعلاه.

وبشأن أسم الامام أنظر: ادريس، عيون الأخبار، ج،٤ ص٦١٩؛ وذكر غالب أن أمامته كانت من ٢٦٥ - ٢٨٩هـ، تاريخ الدعوة، ١٦٩ - ١٧١؛ ونسب عارف تامر إلى هذا الامام تلخيص رسائل أخوان الصفا برسالة موجزة سماها جامعة الجامعة، القرامطة، ص ,٤٢

(٤٠) يذكر كل من غالب وتامر أن سنة وفاة الامام أحمد بن عبد الله، والد الحسين بن أحمد، هي ٢٦٥هـ/٨٧٨م، واذا صح ذلك فيكون لقاء ابن حوشب

بالامام المستور وتحوّله إلى الاسماعيلية قد تم آواخر تلك السنة أو أوائل السنة التالية: تاريخ الدعوة، ص ١٦٧؛

(٤١) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٣٨,

(٤٢) المصدر ذاته، ص ٣٩,

(٤٣) ويعني الامام الحسين بن أحمد، لأن الحمادي ينكر صحة النسب الفاطمي.

(٤٤) الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص٢٢؛ انظر أيضاً الجندي، السلوك، ص ١٣٩,

(٤٥) يحيى بن الحسين، غاية الاماني، القسم الأول، ص١٩١؛ ابن المؤيد، ابناء الزمن، ص٣٩؛ الخزرجي، العسجد، في زكاء أخبار القرامطة، ص ٤١٥,

(٤٦) الهمداني، الصليحيون، ص ٣٠، حسن، تاريخ الاسلام، ج٣ ص٣٣١؛ غالب، أعلام، ص ٢٣٣,

(٤٧) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٢ ٣٨,

(٤٨) أدريس، عيون الأخبار، ج٤ ص ٦٢٥ ٦٣٠,

(٤٩) النعمان، افتتاح ص ٣٥ ٣٦؛ ادريس، عيون، ج٤ ٦٢٧ ٦٢٨,

(٥٠) المصدران السابقان، ص٣٧ ٣٨؛ ص ٦٣٠,

الفصل الثـالث

دعوة ابن حوشب في اليمن

١ – تهيئة ابن حوشب للقيام بالدعوة:

كانت الصفات التي تميز بها ابن حوشب، كالخبرة والدراية والطاعة والذكاء، قد فتحت له الأبواب ليتدرج في مراتب الدعوة بسرعة، وأتاحت له الفرصة ليتبوأ مكانة مرموقة جعلته ثقة الامام الحسين بن أحمد. وقد وجد هذا الامام في ابن حوشب الرجل المناسب لإرساله إلى اليمن لنشر المذهب الاسماعيلي والتبشير بقرب ظهور المهدي، فكان يلمّح لإبن حوشب بان وقت ظهور الدعوة لم يعد بعيداً، وبأن مكان هذا الظهور سيكون في اليمن. وينقل القاضي النعمان عن ابن حوشب قوله في ذلك:«وكان [الامام] يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ودنوّ العصر ويقول في كثير من كلامه: البيت يماني والركن يماني والكعبة يمانية، ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلاّ من قبل اليمن(١)».

ومما قاله له أيضاً«وأن الله عز وجل قسم لليمانية ألاّ يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم.(٢)»ومثل هذه الاشارات والرموز التي استعملها الامام الحسين بن أحمد مع ابن حوشب كانت بمثابة الاعداد النفسي الذي انتهجه أئمة الحركة الفاطمية مع دعاتهم لوضعهم في المناخ الذي سيعملون فيه. وما أن شعر الامام

بدنوّ وقت ظهور الدعوة حتى قام بجسّ نبض ابن حوشب لمعرفة ردة الفعل عنده بالنسبة لما يجول في خاطر الامام الحسين بشأن الدعوة الاسماعيلية في اليمن، قال ابن حوشب:

ثم قال لي يوماً: يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله؟ قلت: يامولاي، الأمر إليك فما أمرتني به امتثلته، قال: أصبر كأني برجل قد أقبل إلينا من اليمن، وما لليمن إلاّ انت، فقلت: استعين بالله على ما يرضيك.(٣)

وهكذا أصبح ابن حوشب على علم بالمهمة التي أعده لها الامام الحسين بن أحمد، وهي القيام بالدعوة الاسماعيلية في اليمن، وأن البدء بهذه الدعوة مرهون بوصول رجل يمني سيكون الساعد الأيمن لابن حوشب في مهمته، وهو علي بن الفضل. ولا شك في أن وصول علي ابن الفضل إلى الكوفة سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م كان بمثابة اشارة البدء لانطلاقة الحركة الفاطمية في اليمن، لأن ابن الفضل اليمني كان على علم ودراية بامور ذلك القطر النائي، وتحوّله إلى الاسماعيلية سهّل مهمة ابن حوشب. ونظراً لأهمية شخصية ابن الفضل بالنسبة لانطلاقة الحركة الفاطمية في اليمن، نرى أنه لابد من التعرّف على هذه الشخصية ولو بشيء من الاختصار.

آـ علي بن الفضل وتحوّله إلى الاسماعيلية:

ورد في كتاب افتتاح الدعوة قول القاضي النعمان في علي ابن الفضل: «وكان الرجل من أهل جيشان – مدينة باليمن – شاب جميل من أهل بيت تشيّع ونعمة ويسار، يقال له أبو الحسن علي بن الفضل...»(٤)

وجاء في روايات أخرى أنه يدعى محمد بن الفضل(٥)، وذكر بعضهم أن «أصله من ذرية ذي جدن،والأجدون من سبأ صهيب وأصله من جيشان»(٦) وقال آخرون«بانه خنفري النسب من ولد خنفر بن سبأ الأصغر ...كان أديباً ذكياً شجاعاً فصيحاً..(٧)»وذهب بعضهم إلى نعته بعلي بن الفضل الجدني الخنفري الجيشاني.(٨) وتجمع المصادر على انه كان رجلاً ذكياً وشجاعاً، وأنه كان من ذوي النعمة واليسار ومتشيعاً من أتباع الاثني عشرية، وهو يشبه، بذلك ابن

حوشب، أي أنه من الشخصيات التي يرغب أئمة الاسماعيلية بضمها إلى دعوتهم وتحويلها إلى مذهبهم.

وذهب ابن خلدون والمقريزي إلى القول بأن ابن الفضل كان من شيعة الامام المستور المقيمين باليمن، ومن هؤلاء قوم يعرفون بيني موسى، وهذا يعني أن ابن الفضل كان اسماعيلي المذهب قبل مجيئه إلى الكوفة. لكن هذه الاشارة موضع شك لأن المصادر الاخرى، الاسماعيلية وغير الاسماعيلية، تجمع على كونه من الشيعة الاثني عشرية.(١٠)

أما قصة اتصاله بالامام المستور، الحسين بن أحمد، وتحوّله إلى الاسماعيلية، وأجتماعه، من ثم، بابن حوشب، فإنها لاتختلف في تفاصيلها عن قصة ابن حوشب. وقد وردت تفاصيلها عند كل من القاضي النعمان،(١١) والحمادي اليماني،(١٢) ونقلها عن الأخير البهاء الجندي،(٦٣)، مع اختلاف في العبارة والاسلوب، لأن القاضي النعمان اسماعيلي المذهب، بينما الحمادي اليماني متعصب ضد ابن الفضل ودعوته. غير أن ابن خلدون وبعض مؤرخي اليمن يشذون عن بقية المؤرخين الذين اعتمدوا رواية كل من القاضي النعمان والحمادي اليماني، فقد جاء في معرض حديث ابن خلدون عن ابتداء الدولة العبيدية (أي الفاطمية) في المغرب قوله:

...وكان محمد الحبيب(١٤) ينزل سلمية من أرض حمص، وكان شيعتهم يتعاهدونه بالزيارة إذا زاروا قبر الحسين، فجاء محمد بن الفضل من عدن لاعة من اليمن لزيارة محمد الحبيب، فبعث معه رستم بن الحسن بن حوشب لاقامة دعوته باليمن..(١٥)

وهذا يعني أن ابن الفضل كان من أتباع الامام المستور، وأنه قصد سلمية لزيارته، وأنه لم يكن هناك أي تغيير في المذهب بالنسبة لابن الفضل، وهو ما قلنا أنه موضع شك، لأن المصادر الأخرى تجمع على كون ابن الفضل من أتباع الاثني عشرية.

وذهب بعض المؤرخين اليمنيين إلى أن ابن الفضل اتصل بالامام المستور، ويسمونه ميمون القداح، هو وابن حوشب سوية، وأن ميمونا أوهمها بأن المهدي

ولده، وأقنعهما بقبول مذهبه واخذ عليهما العهود والمواثيق ثم بعثهما إلى اليمن يدعوان لولده، وكان ذلك سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م او ٢٩١هـ/٩٠٣م.(١٦) وأغرب الدواداري فذكر ان ابن الفضل لم يتصل بالامام المستور وابن حوشب في الكوفة، بل أن ابن حوشب هو الذي اتصل به في اليمن، وأن ابن الفضل انتجاب لدعوته وقوي أمره به.(١٧)

أما رواية القاضي النعمان فملخصها أن ابن الفضل حج إلى مكة سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م، وبعد انقضاء الحج سار إلى الكوفة لزيارة ضريح الامام الحسين كما هو الحال مع سائر أهل الشيعة. وهناك أظهر الندم والأسف والبكاء مما لفت نظر أحد دعاة الامام المستور الذي راح يراقبه لعدة أيام، ولما رأى اجتهاده اجتمع به وألقى إليه ببعض المسائل مما جعل ابن الفضل يركن إليه ويستمع لقوله، ولما سأله هذا الداعي،

أرأيتك لو أدركت صاحب هذا القبر الذي تبكي عنده وتذكر فضائل صاحبه ما كنت صانعاً في أمره؟قال:كنت والله اضع خدي وأقبل الأرض التي يطؤها وأتبرك بفضل وضوئه وأكون لوشهدت مصرعه أول صريع بين يديه.(١٨)

ثم ألمح الداعي إلى الامام صاحب الزمان، مما جعل ابن الفضل يتعلق به، فوعده الداعي أن يراه في اليوم التالي ليوصله إلى الأمام، وانقطع عنه لمدة طويلة، ولما رأى صبره، اجتمع به مره ثانية وأخذ عليه العهد وأوصله إلى الامام.(١٩)

وتحققت باعتناق ابن الفضل للاسماعيلية، وهو ما عليه من قوة الشخصية والذكاء والشجاعة والاخلاص، تحققت نبوءة الامام الحسين بن احمد عندما قال لابن حوشب ذات يوم «اصبر كأني برجل قد أقبل إلينا من اليمن، وما ليمن إلا أنت»(٢٠) وبدأت الاستعدادات الفعلية لبدء الدعوة في اليمن، وجمع الامام بين ابن حوشب وابن الفضل في مجلسه بعد أن اصطحبهما معه إلى سلمية، مقر إقامته ، حيث أكبّا على تحصيلهما للعلوم الاسماعيلية.(٢) وكان يحدثهما بشأن الدعوة، ويسأل ابن الفضل عن أخبار اليمن وأحواله، وأحوال شعبه وحكامه وملوكه. وقد طمأنه ابن الفضل بقوله: «والله ان الفرصة ممكنة في اليمن، وان

الذي تدعو إليه جائز هنالك وناموسنا يمشي عليهم وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام، وتشتيت الرأي وقلة المعرفة باحكام الشريعة المحمدية.»(٢٢)

وكان الامام يخبرهما بأنه عند تمام الوقت وانقضاء ستة أدوار من الهجرة النبوية سيرسلهما إلى اليمن ليقوما بالدعوة إلى ولده محمد المهدي الذي«سيكون له ولذريته عزّ وسلطان».(٢٣)

ب التحضير للدعوة والرحلة إلى اليمن:

وهكذا أصبحت لدى الامام الحسين بن أحمد الوسائل الممكنة لنشر دعوته في اليمن بعد انضمام ابن حوشب وأبن الفضل إلى دعوته وذلك بفضل ما اوتيت به هاتان الشخصيتان من ميزات الذكاء والشجاعة والطاعة والاخلاص. فذكّر ابن حوشب بما كان قد قاله له من قبل، وقال له بعد انضمام ابن الفضل اليهما:

يا أبا القاسم، هذا الذي كنا ننتظره، فكيف رأيك في الذي عرضت عليك من أمر اليمن؟ قال: يامولاي أنا على ما قلت لك والأمر إليك، قال: اعزم على أسم الله، فوالله ليظهرن الله أمرك ولتصدرن الدعاة إلى آفاق الأ رض عنك.(٢٤)

ثم ان الامام دعا ابن الفضل إليه وسأله عن موقع عدن لاعة، المكان الذي نزله الامام علي بن ابي طالب خلال سفارته للرسول(ص) إلى اليمن، والذي بقي مركزاً من مراكز الشيعة منذ ذلك الحين، ولما لم يكن يعرف المكان قال للامام:«عسى ان تكون أردت عدن أين؟ قال لا إلاّ عدن لاعة، قال: ما أعرفها»(٢٥) وهذا يدل على ان الأئمة كانوا على اطلاع بأحوال الشيعة في المناطق المختلفة، وذلك بفضل العيون التي كانوا يبثونها في مختلف الاقطار لمثل هذه الغايات. ولذلك فإن الامام المستور الحسين بن أحمد أكّد على داعيته ابن حوشب بالذهاب إلى اليمن والنزول في عدن لاعة، وليس في أي مكان آخر، وقال له:«إلى عدن لاعة فاقصد وعليها فاعتمد، فمنها يظهر أمرنا، وفيها تعز دولتنا، ومنها تفترق دعاتنا»(٢٦).

وقام الامام المستور، ضمن هذه الاستعدادات لبدء الدعوة، بتوجيه الارشادات والتعليمات إلى كل من ابن حوشب وابن الفضل وأوصى كل واحد منهما بأخيه على انفراد، وعاهد بينهما، فقال لابن حوشب:«الله الله – مرتين – صاحبك، يعني ابن فضل، احفظه وأحسن إليه وامره بحسن السيرة فإن له شأناً عظيماً ولا آمن عليه»(٢٧). ثم قال لعلي ابن الفضل«إن هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم، فانظر كيف تصحبه»(٢٨) ويذكر القاضي النعمان أن الامام أعطى ابن حوشب كتاباً فيه أصول ورمز وهو بمثابة دستور يتبعه في نشر الدعوة في اليمن، ومما قال له فيه:«إن لقيت من هو ألحن بالحجة منك فانغمس له في الباطن، قال: وكيف ذلك، قال: تقطع الكلام وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطناً لايمكنك ذكره، فتحتجز بذلك منه- إلى ان تتهيأ لك الحجة عليه»(٢٩)

وأصبح الداعيان بذلك على أهبة الاستعداد لرحيل إلى اليمن بعد أن تزودا بارشادات الامام وتعليماته فقام ابن حوشب بتوديع أهله وأصحابه، وخرج هو وصاحبه ابن الفضل يقصدان مكة أواخر سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م، بحيث وافق خروجهما خروج الحجاج في ذلك الموسم من أجل ابعاد الشكوك عنهما، فتبقى مهمتها في مأمن عن أعين العباسيين الذين كانوا يترصدون حركات الأئمة ودعاتهم في ذلك الوقت. وسلكا في مسيرهما طريق الحج المعروفة التي تمر في القادسية، وقد وصف ابن حوشب شعوره عندما خرج من القادسية، فقال:

ولما خرجت من القادسية أوجست خيفة، فأصغيت إلى فأل اسمعه، فسمعت حادياً يقول:

يا حادي العيس مليح الزجر

بشر مطاياك بضوء الفجر

قال: فسررت به واستحسنت ذلك الفأل لما سمعته.(٣٠)

وصل الداعيان مكة في نهاية ٢٦٧هـ/٨٨٠، والحجاج قد وفدوها من جميع الأقطار، بما في ذلك اليمن. واستغلا وجودهما هناك فاختلطا مع اهل اليمن

وتنسما منهم الأخبار حول أوضاع بلادهم السياسية والاجتماعية، وعلما أن محمد بن يعفر الحوالي، أمير صنعاء، قد اعتزل الحكم وأظهر التنسك وردّ ما اقتطعه من الناس وأنصف الظلامات، مما اوقع البلد في الفوضى والارتباك حتى استحثّ أحد الشعراء بيت الحوالي لتدارك الأمر، فقام به أسعد بن ابي يعفر، ابن أخي محمد المذكور.(٣١)

وبعد انقضاء موسم الحج، افترق الحجيج، وسارت كل جماعة إلى ديارها، وانصرف ابن حوشب وابن الفضل مع جماعة اهل اليمن وسارا معهم حتى دخلا اليمن سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م(٣٢). وعندما وصلا بلدة غلافقة على ساحل البحر الأحمر، افترقا بعد ان تعاهدا على الاتصال ليبقى كل واحد منهما على اطلاع باحوال الاخر، وسار ابن حوشب جنوباً ووجهه عدن لاعة(٣٤) عن طريق الجند،(٣٥) بينما سار ابن الفضل إلى بلاد يافع القريبة من الجند، وكان ابن حوشب يسأل من يصادفه من أهل اليمن عن عدن لاعة، ولكنه لم يصادف من يعرف المكان (٣٦) ، فقرر الذهاب إلى عدن أبين (٣٧) ، لعله يجد هناك من يدلّه على المكان الذي يقصده. وحمل معه بعض القطن ليظهر بمظهر التجار ويخفي حقيقة أمره. والتقى في عدن أبين جماعة من التجار من قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى، وهم من عدن لاعة ، فسأل بعضهم عن عمله، فأخبرهم أنه من التجار، فأنكروا ذلك عليه وقالوا:لست بتاجر وإنما انت رسول المهدي ، وقد بلغنا خبرك، ونحن بنو موسى ، ولعلك قد سمعت بنا فانبسط ولا تحتشم ، فإنا إخوانك،فإظهر أمره،وقوى عزائمهم»(٣٨)ثم ذكروا له وجود شيعة في مكان يدعى عدن لاعة، فسرّ ابن حوشب عندئذ وسألهم أن يدلوه على المكان. وتوجه إلى هناك فأخبره اهلها أنه كان هناك رجل يدعى أحمد بن عبد الله بن خليع كان له علم فيهم،وكان ينتظر وصوله،لكن أمره وصل إلى إبن أبي يعفر فحبسه.ومات بالحبس. فنزل ابن حوشب في أحد دور ابن خليع وتزوج ابنة صاحبه(٣٩).

أما ابن الفضل فإنه اتجه إلى جيشان،(٤٠) لكن المنطقة لم تعجبه فخرج إلى سرو يافع(٤١) حيث وجد المكان مناسباً لإقامة الدعوة فيه، فنزل هناك وأخذ بالتعبد والتنسك.(٤٢)

٢ – مراحل الدعوة:

ذكرنا ان الامام الحسين بن أحمد زوّد داعيته ابن حوشب بالارشادات والتعاليم الواجب اتباعها خلال قيامه بنشر الدعوة في اليمن كما زوّده بكتاب فيه أصول ورمز أشار له فيه إلى بعض الأساليب التي تسهّل نشر هذه الدعوة وتساعد الناس على تقبلها(٤٣). وكون الامام المستور الحسين بن أحمد هو المسؤول المباشر عن هذه الدعوة، فهذا يجعلها امتداداً، وجزءاً من التنظيم العام للحركة الاسماعيلية. والمعروف عن هذه الحركة أنها من أكثر الحركات الشيعية اهتماماً بالدعاية وتنظيمها، وجعلوها من صميم عقيدتهم «وفلسفتهم، كما جعلو الدعاة من حدود الدين وذلك إمعاناً منهم في اسباغ الفضائل على هؤلاء الدعاة الذين يبشرون بالأئمة وبعقيدتهم المذهبية حتى يستطيع الداعي ان يوجه اتباع المذهب كيفما شاء، وأن يكون كلامه لهم من صميم المذهب، فلا يحاجه أحد ولايخالفه إلاّ مارق عن المذهب»(٤٤)

وقد نظموا دعوتهم على نظام دورة الفلك، «وقالوا إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع، والنقباء تدور أحكامهم على اثني عشر»(٤٥)

وبناء على ذلك جعلوا العالم، مثل السنة الزمنية، اثني عشر قسماً يدعى كل واحد منها جزيرة ويوجد فيها داعياً مسؤولاً يسمى داعي دعاة الجزيرة، والشهر ٣٠ يوماً ، فجعلوا لكل داعي جزيرة ٣٠ نقيباً مساعداً له ثم إن اليوم مقسم إلى ٢٤ ساعة، ١٢ بالنهار و ١٢ بالليل، فجعلوا لكل نقيب ٢٤ داعياً، ١٢ بالليل وهؤلاء مستترون، و١٢ بالنهار وهؤلاء ظاهرون.(٤٦)

ولا ندري إذا كان هذا النظام قد طبّق في اليمن أثناء قيام ابن حوشب بالدعوة هناك، إذ ليس بين أيدينا مصادر تشير إلى مثل ذلك. لكن لدينا إشارة واحدة إلى هذه المراتب في اليمن، ليس في زمن ابن حوشب، وإنما في عهد الصليحيين في القرن الخامس الهجري. وقد أوردها الحمادي اليماني، القاضي المشهور الذي قيل أنه دخل في هذه الدعوة في عهد الصليحيين ثم خرج منها بعد أن اطلع عليها وعلى أسرارها(٤٧). لكننا لانطمئن إلى هذه الرواية لأن

الحمادي متعصب ضد هذه الحركة، ولأنها تعطي وجهاً واحداً من الصورة، بينما يبقى الوجه الاخر مجهولاً حتى نقع على مصادر فاطمية تكشفه وتوضحه.

وفيما يتعلق بدعوة ابن حوشب في اليمن، فإننا نلاحظ أنها انقسمت إلى دورين متميزين من حيث الاسلوب والطريقة التي اتبعها في نشر دعوته وكسب الناس إليه: الدور السلمي، وهو دور الستر، وفيه اتبع اسلوب التبشير عن طريق الحجة والاقناع، وامتد حوالي السنتين؛ والدور الحربي، وهو دور الظهور، وفيه ابتع الاسلوب الحزبي، ونشر الدعوة بقوة السيف، وفتح البلاد وحارب الأمراء المعادين، وأعلن الدعوةللامام المهدي، وامتد هذا الدور حتى وفاة ابن حوشب في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وسنبحث الحركة وتطوراتها في اليمن على ضوء هذا التقسيم. لكن، وقبل المضي في ذلك، تجدر الاشارة إلى ان معظم مصادرنا هنا هي من الاتجاه المعادي لدعوة ابن حوشب، كما اننا نلاحظ تحولاً في التركيز من ابن حوشب إلى علي بن الفضل، وخاصة في الدور الثاني من الحركة، لأن ابن الفضل يمني التبعية، وأشتهر بشجاعته وحروبه الكثيرة؛ كما أنه لفت أنظار المؤرخين بعد فتحه لمدينتي صنعاء والمذيخرة عاصمتي دولتي بني يعفر وبني زياد، وكذلك بعد ارتداده عن مذهب الاسماعيليةونقضه لبيعة المهدي، ومحاربته لرئيسه في الدعوة، ابن جوشب.

آ- الدور السلمي:

كان الدين هو المحور الرئيسي الذي دارت حوله الحركة الفاطمية في اليمن في هذا الدور، لأنه الطريق الأقرب للوصول إلى العامة في ذلك الوقت.(٤٨) ولذلك عمل الداعيان بوصية الامام المستور الحسين بن أحمد، فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول إلى غايته، وكان ذلك يعني إظهار التمسك بالشريعة، والتظاهر بالتفقه بالدين، والتضلّع في المذاهب المختلفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وثابر الداعيان على إظهار الورع والتدين حتى صار «كل واحد منهما مسموع القول في جهته، وقصدهم الناس، وجمعوا الصدقات وعظم شأنهما»(٤٩)

وقد مرّ معنا أن ابن حوشب استقرّ في عدن لاعة، كما أوصاه الأمام المستور الحسين بن احمد، وكانت هذه المدينة مركزاً من مراكز التشيع. ومع ذلك، فإنه لم يُظهر أمره دفعه واحدة، بل تخفى وتستّر، وتظاهر بالتقوى والورع، وإدعى الفقه والسنة مما كان له تأثير كبير على عامة الناس، فأقبلوا عليه من كل ناحية ومالوا إليه(٥٠). وحتى خاصته فإنه لم يظهر لها في البداية أنه من اتباع الامام الاسماعيلي الحسين بن أحمد، بل كان يدعو للمهدي من آل محمد من غير تسمية أو تخصيص(٥١). وكان هدفه من ذلك تقريب الشيعة إليه لكي تصبح كلمته مسموعة عندهم، وعندها يستطيع الاعتماد عليهم في نشر الدعوة.

ولم تلبث أن ظهرت نتائج هذه السياسة الحكيمة والتصرف الحسن، إذ مالت إلى ابن حوشب مخاليف المغرب وهي: لاعة، أردان، حجة، عيان، وبلدان البياض، وأصبح نفوذه قوياً «فأمرهم بجمع زكاة أموالهم واستعمل عليها منهم ثقات وعدولاً يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه.(٥٢)» كما انه أصبح من القوة بحيث تمكن من إخبار هؤلاء الاتباع بأنه قدم عليهم داعياً للمهدي الذي بشر به رسول الله (ص)، وقد حالفه منهم جماعة صاروا نواة شيعته في تلك المناطق.(٥٣) ولاشك أن هذه الخطوة كانت هامة وأساسية لتقوية مركز ابن حوشب. فالمال كان من الحاجات الاساسية التي يتطلبها القيام بمثل هذه الاعمال، وقد ضمنت أموال الزكاة مورداً حيوياً لابن حوشب يستطيع الاعتماد عليه بعد أن نفذت الأموال التي جاء بها من الكوفة. كما أنها كانت القاعدة التي بني عليها خطوته التالية. فقد حدث أن هُوجم بعض أتباع ابن حوشب وقُتلوا فقال لأصحابه: «قد رأيت أن تبنوا حصناً منيعاً يكون لبيت مال المسلمين، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما امرهم به فأجمعوا على بناء موضع يقال له (عبر محرم) وهو جبل تحت مسور وهو موضع بني العرجي، قوم من سلاطين المغرب همدان، فلما بني الجبل وحصّنه حمل إليه كل ما يحتاج إليه بعد أن سارع إلى ارادته خمسمائة رجل أخذ عليهم العهود والمواثيق، تم أنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم»(٥٤).

وقد تقوى مركز ابن حوشب بعد بناء الحصن الذي أطلق عليه أسم دار الهجرة(٥٥)، وعلّق الهمداني على ذلك فقال: لبناء هذه لحصون غرضان: فالغرض الأول الظاهر هو حفظ أموال الزكاة، ولكن الغرض الحقيقي هو اتخاذ قواعد ارتكاز يبسط منها، الدعاة نفوذهم السياسي والمذهبي.(٥٦)

وعندما أنكر الناس عليه صعوده الجبل مع أصحابه وتجمعوا لقتاله، استطاع ابن حوشب أن يقاتلهم ويهزم جموعهم ويقتل خلقاً كثيراً منهم، ولم تنفع النجدات التي وصلت من صاحب صنعاء وغيره.(٥٧)

وكان من أثر ذلك أن إزداد نفوذ ابن حوشب، وشاع ذكره بين القبائل اليمنية، وعظم امر دعوته ودخل أناس كثيرون فيها.(٥٨) ومن هذه التحصينات انطلقت الدعوة حيث وجد رجال القبائل ملجأ لهم، وبدأت بالتسرب إلى المناطق المجاورة، وهذه استراتيجية يرى د.دفترى أنها اتبعت وطبقت في كل من فارس وسورية بشكل كامل(٥٩) .

أما علي ابن الفضل فقد سبق القول انه استقرّ في سروبافع واتخذها مركزاً لانطلاقة دعوته.(٦٠) واتبع ذات اسلوب ابن حوشب فبنى مسجداً على قمة جبل من جبال المنطقة، وأخذ بالتنسك والعبادة وإظهار التقشف والتدين والورع، فافتتن به أهل تلك الناحية، وجلعوا يأتونه بالطعام فلا يأكل منه شيئاً، وإن فعل فلا يأكل إلا اليسير منه(٦١). ولما واظب على هذا السلوك اقتنع أهل تلك الناحية، بصدق إخلاصه للدين وتقواه وورعه، فسألوه أن ينزل من الجبل ويسكن معهم وألحوا عليه في ذلك، فرفض في بداية الأمر، ولما رأى شدة الحاحهم قال: «لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلاّ ان يعطوني العهود والمواثيق أن لايشربوا الخمر ففعلوا له ذلك وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ إلى ارادته»(٦٢).

ولما أطمأن إلى حبهم له، وأن هذا الحب قد تمكن في قلوبهم، طالبهم بجمع أموال الزكاة ففعلوا ذلك عن طيب خاطر، «وأجتمع له شيء جيد منها»(٣٦) وما إن توفرت لديه الأموال اللازمة لانطلاقة الدعوة، حتى طالب أهل تلك الناحية ببناء حصن في ناحية سروبافع، وفعلوا ذلك أيضاً. وأصبح هذا الحصن

داراً للهنجرة له ولأصحابه، ثم سمح لأتباعه بالإغارة على أطراف بلاد ابن أبي العلاء صاحب (أبين)، وبيّن لهم أن «ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعاً أو كرهاً.(٦٤)»وكان من نتيجة ذلك ان ذاع صيته، وقوى أمره بين اهل المنطقة، وصار مسموع القول، وتوافد عليه الناس للدخول في دعوته وطاعته إما خوفاً من قوته المتزايدة، وإمّا رغبة في القتال للحصول على المغانم والمكاسب المادية. وخلال عامين من بدء الدعوة أصبح لابن الفضل نفوذ لايقل عن نفوذ صاحبه ابن حوشب، بسبب براعته في استمالة الناس إليه، واتباعه للاسلوب الذي رسمه له صاحب دعوة اليمن.

ب ـ الدور الحربي:

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ بدء هذا الدور، فالمؤرخون اليمنيون(٦٥) عموماً يذكرون أن ابتداء الحركة الفاطمية في اليمن كان بعد سنة ٥٢٩٠/٩٠٢م، على عكس ما أورده النعمان وغيره(٦٦) من انها ابتدأت سنة ٥٢٦٨/٨٨١م. وربما كانت اشارة المؤرخين اليمنيين بهذا الخصوص تتعلق بانتشار الحركة الفاطمية على نطاق واسع بعد سنة ٥٢٩٠/ ٩٠٢م بحيث راحت تهدد وتستولي على عواصم البلاد اليمنية كصنعاء، والمذيخرة، وزبيد وغيرها؛ الأمر الذي لفت انتباه المؤرخين اليمنيين إليها باعتبارها خرجت عن نطاق المحلية، حيث اقتصرت بداياتها على بعض المناطق الجبلية النائية. على أننا نرجح ماأورده القاضي النعمان حول بدء الدور الحربي لهذه الحركة، لأنه أقرب زمنياً إلى الحوادث المذكورة من جهة، وينقل أخباره عن الثقات من أصحاب ابن حوشب من جهة أخرى. يقول القاضي النعمان أن ابن حوشب وابن الفضل «دخلا اليمن في أول سنة ثماني وستين ومائتين، فأقاما باليمن سنتين يدعوان مستترين، ثم ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين»(٦٧) ويذكر في مكان آخر ابتداء دور الظهور، أو الدور الحربي، بانه كان بعد أن استأذن ابن حوشب الامام المستور الحسين بن احمد بذلك، فيقول:«وفشت الدعوة باليمن وظهر أمرها، واستأذن أبو القاسم في الحرب فأذن له، فابتنى حصناً بجبل لاعة وجيّش الجيوش وافتتح مدائن باليمن»(٦٨) وكان ابن حوشب قد أرسل كتباً إلى الامام الحسين

يخبره بنجاح دعوته في الدور الأول فَسُرَّ الامام بذلك، وأرسل إليه بالبيعة لولده المهدي، وردّ ابن حوشب على ذلك بإرسال هدايا وطرائف يمنية واموال جليلة أدخلت السرور على قلب الامام الحسين الذي دعا ولده المهدي وقال له:«هذا أول ثمرة أيامك وبركة دولتك»(٦٩)

١ـ نشاط ابن حوشب الحربي:

يُلاحظ ان المعلومات المتوفرة لدينا عن نشاط الحركة الفاطمية في اليمن خلال العشرين عاماً الأولى من هذا الدور قليلة نسبياً، فبعد أن إستقرّ في حصن عبر محرم في عدن لاعه، وضَمِنَ ولاء السكان له، أخذ ابن حوشب زمام المبادرة في الهجوم على المناطق المجاورة. وقد ساعده في ذلك جو الفرقة والتناحر السياسي القائم بين مختلف الأمراء والرؤساء القبليين وزعماء العشائر، وهو الجو الذي اتصفت به اليمن في هذه الفترة من الزمن. وأول مكان هاجمه كان جبل الجميمة فاستولى عليه ثم تهيأ لمهاجمة جبل مسور الذي فيه حصن فاير التابع للحوالي أمير صنعاء. ونظراً لمناعة المكان وشدة تحصينه فإن ابن حوشب قام بمكاتبة عشرين رجلاً من أصحاب مأمور الحصن الذين فتحوا له باب الحصن ليلاً، ودخله مع اتباعه، وأعطى الأمان لصاحبه.

ولما أخبره العامل بأن معه مالاً للسلطان قال له ابن حوشب:«لسنا ممن يرغب في مال السلطان وما طلعت هذ الجبل لأخذ اموال الناس وإنما طلعت لإصلاح الاسلام والمسلمين، خذ مالك فأده إليه»(٧٠)

وقد وجد ابن حوشب في هذا المكان موضعاً استراتيجياً يمكن أن يكون قاعدة لدعوته ومنطلقاً للحملات الآخرى باتجاه المناطق المجاورة. ولذلك أظهر اهتماماً خاصاً بإعادة تحصينه، وبناء ماتهدم من أسواره، وبنى فيه دار الأمرة وسماها بيت ريب(٧١). عندئذ شعر الأمراء المحليون بخطر ابن خوشب المتزايد، فتناسوا خلافاتهم ووحدوا أمرهم تجاهه، وشجعهم في ذلك أمير صنعاء الحوالي. وشنوا على ابن حوشب حرباً ضارية ولكنها لم تسفر عن شيء يذكر لأن اتفاقهم لم يدم طويلاً، ولأن ابن حوشب وانصاره كانوا «يحاربون تنفيذاً لمبدئهم

ونصرة لاقامة دولة أهل بيت النبي، وكانت هناك رأس مفكرة تقودهم من نصر إلى نصر»(٧٢)

ثم عاد ابن حوشب إلى اتخاذ زمام المبادرة مرة أخرى، فهاجم من حوله من القبائل والعشائر وقتل رجالهم وأخذ أموالهم واستولى على بلادهم، والتفت بعد ذلك إلى بني شاور فأذعنوا له. وسار إلى شبام وكوكبان فاستولى عليهما وعلى جميع مغرب اليمن.(٧٣) واستحق ابن حوشب بعد هذه الفتوحات الجليلة وإعلاء شأن الحركة الفاطمية في اليمن، وإخضاع الكثير من مناطق تلك البلاد لسلطان الدعوة، ومن ثم لسلطان الامام الاسماعيلي، استحق لقب المنصور باليمن الذي لقبه إيّاه الامام المستور الحسين بن احمد،(٧٤) وأصبح ذا مكانة عالية عند الامام بحيث كلّفه بتدريب الدعاة وإرسالهم إلى المناطق المختلفة. فكان أن أرسل أبـا عبد الله الشيعي الصنعاني داعياً إلى المغرب (افريقية) سنة ٢٧٨هـ/٨٨٨م بعد وفاة داعية الفاطميين هناك، أبـي سفيان، وقد أوصاه قبيل سفره قائلاً:«إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك»(٧٥) وكان ابن حوشب قد أرسل قبل ذلك ابن اخيه، الهيثم، إلى السند للدعوة للامام المستور هناك سنة ٢٧٠هـ/٨٨٠م»(٧٦)

ثم بدأ ابن حوشب باستعمال الطبول والرايات، فكان معه ثلاثون طبلاً «إذا ضربت سمعت إلى المواضع البعيدة من المغرب»(٧٧) وانضوى الناس تحت لوائه ودخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائعين او كارهين، وقويت في أرض اليمن دعوته وعلت كلمته(٧٨). وحققت الحركة الفاطمية في هذه المرحلة نجاحاً مطلقاً. وكان ابن حوشب يذكّر الناس، في الوقت نفسه، بأن انتصاراته وفتوحاته لم تتم إلاّ لكونه داعية المهدي، وفي ذلك يقول:«والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي، وإنما أنا داعي المهدي الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وسلم»(٧٩).

كما نسب القاضي النعمان إلى ابن حوشب فتح صنعاء والاستيلاء عليها فقال: «وملك صنعاء وأخرج بني يعفر منها، وفرق الدعاة في نواحي اليمن وإلى سائر البلدان: إلى اليمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب»(٨٠)

بعد ذلك لانجد في المراجع من أخبار ابن حوشب شيئاً آخر نضيفه سوى قصة خلافه مع مساعده ابن الفضل على ما سنرى في الفصل التالي. فالحمادي اليماني يقول:«ثم أن المنصور أقام في مسور إلى أن جرى بينه وبين علي بن الفضل الجدني اختلاف ومحاربة...وكان موت المنصور...سنة اثنتين وثلاثمائة وولي الأمر من بعده عبد الله بن عباس الشاوري»(٨١). غير أن مما لاشك فيه هو أن ابن حوشب تابع اشرافه وتنظيمه لأمور الدعوة في اليمن خلال هذه الفترة التي امتدت حتى أوائل القرن الرابع الهجري، حيث كان على اتصال دائم مع الامام الاسماعيلي في سلمية ثم في المغرب، يتلقى منه التوجهات والإرشادات. وكان ابن الفضل يستشيره أيضاً ويظهر له الطاعة، وربما كان ذلك مداهنة منه ورياء لأخفاء ما أضمره في صدره من سوء لابن حوشب وللحركة الفاطمية عموماً.

٢- نشاط ابن الفضل الحربي:

اما فيما يتعلق بنشاط علي بن الفضل في هذ الدور، فقد ذكرنا أنه استقرّ في سرو يافع، واستمال الناس إلى جانبه بفضل ما أظهره من تقوى وورع وتديّن شديد، فأخذ عليهم العهود، وأنهبهم أطراف بلاد ابن أبي العلاء، سلطان لحج وأبين «بحجة أن في ذلك جهاد لأهل المعاصي.. ووجد اتباعه في هذا العمل فرصة لجمع الثروة فاندفعوا في صفوفه لتحقيق أغراضه»(٨٢) ثم أنه استغلّ خلافاً بين أبن أبي العلاء وواليه على أبين، جعفر بن ابراهيم المناخي، فاتفق مع جعفر على محاربة ابن ابي العلاء على أن يقتسما ما يكسبانه من البلاد والأموال مناصفة بينهما، وقد أظهر ابن الفضل براعة عسكرية فائقة في هذه الحرب التي انتهت بفوزه على ابن ابي العلاء، والتي كان من نتيجتها أن شاع ذكره وعظم شأنه، وانضمت قبائل مذحج وزبيد بأسرها إليه (٨٣). واستغلّ ابن الفضل انتصاره أحسن استغلال، فقد أرد إقناع الناس بأنه لايسعى إلى المال والجاه،

وإنما قصده خير الإسلام وصلاح المسلمين وأنصاف المظلومين ونشر العدل، وكان له ذلك عندما بعث إليه جعفر المناخي يسأله ان يعطيه حصته من الغنائم وفقاً للاتفاق القائم بينهما. وقد أورد الحمادي اليماني الحادثة فقال:

فجمع القرمطي [ويعني ابن الفضل الذي ينسبه إلى القرامطة] القبائل والعساكر ولقي السفير في أعظم زي من العدة والعدد، فلما عرّفه السفير بما جاء به جمع العساكر وقال: إن جعفراً أرسل إلي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ماغنمت، وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه لأني لا رغبة لي في المال، إنما قمت لنصرة الاسلام فشكروه إليه على ذلك. ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم إلى السفير وقال: انصرف إلى صاحبك ليلتك وقل له يستعد لحربي، وكتب معه كتاباً إليه يذكر فيه أنه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين وأخذ أموال الناس، وانا قمت لأميت المظالم وأرد الحق إلى أهله، فإن أنت اردت تمام مابيني وبينك، فرد الظلامات إلى أهلها، وأدفع لأهل دلال ماقطعت من أيديهم، وذلك لأن جعفراً قطع أيدي ثلثمائة رجل من أهل دلال على حجر بالمذيخرة...(٨٤)

ونفّذ ابن الفضل تهديده للمناخي في العام التالي، وانتصر عليه بعد حروب مريرة انتهت بقتل جعفر ودخول ابن الفضل المذيخرة، عاصمة المخلاف المنسوب إلى جعفر المناخي. وقد وجدها مكاناً مناسباً لأن تكون دار ملكه،(٨٥) تماماً كما وجد ابن حوشب في مسور مكاناً مناسباً لتصبح دار ملكه بعد عدن لاعة. وقد ذُكر ان هذه الحرب قامت في سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م،(٩٦) وقيل ٢٩٢هـ/٩٠٤م(٨٧).

وقويت عزيمة ابن الفضل بهذا الفتح الجليل، فبعث بالعساكر إلى المناطق المجاورة، فاحتلت مخلاف جعفر، والجند بأكملها، ودخلت جيوشه منكث وذمار من بلاد يحصب فخربتها، ودانت لسلطته المنطقة بأسرها(٨٨).

وبإخضاع للمذيخرة وقتل واليها المناخي،وباخضاع معظم المناطق اليمنية الجنوبية والجنوبية الغربية والوسطى، تطلع ابن الفضل الى الاستيلاء على صنعاء، أكبر وأهم مدن اليمن ومعقل آل يعفر، أعداء الدعوة. وقد وجد ابن الفضل في نفسه وفي جيشه القدرة والقوة التي تمكنه من تحقيق هذ الهدف. فأسرع بتنظيم جيشه واعداده،

وسلك طريق اليمن الأعلى، واستولى في طريقه على حصن هران التابع لليافعي صاحب ذمار، وانضم إليه الوالي ومعظم السكان، ودخلوا في مذهبه(٨٩). ثم وصل ذمار فوجد أن صاحبها هجرها وسار إلى صنعاء، فلحقه ابن الفضل بجيش يقدر بأربعين ألفا، ولما وصل مشارف صنعاء كان صاحبها أسعد بن أبي يعفر بانتظاره. غير أن مقاومة ابن ابي يعفر لم تنفع فانهزم أمام جيش ابن الفضل الذي دخل صنعاء ليلاً بمعاملة ملهب الشهابي. واستباح ابن الفضل المدينة، وخرج أميرها منهزماً إلى شبام، ولكن رجال ابن حوشب تصدوا له، فارتد إلى بلاد الدعام ومعه أهله وأثقاله، وذلك أواخر سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م.(٩٠) وبفتح صنعاء أصبح موقف ابن الفضل قوياً جداً، ولم يبق له سوى فتح زبيد ليقضي على اعداء الحركة الفاطمية هناك، وليكمل إخضاع اليمن لهذه الحركة. وفي هذه السنة، ٢٩٣هـ/٩٠٥م، ورد كتاب من صنعاء إلى بغداد حول انتشار الحركة الفاطمية في اليمن، وعلم خلفاء بني العباس بما يجري في تلك الانحاء، وبأن صاحب الدعوة تغلّب على سائر مدن اليمن.(٩١) وهي اول اشارة يوردها الطبري بخصوص الحركة الفاطمية في اليمن. وقبل خروج ابن الفضل من صنعاء لاستكمال فتوحاته، التقى صاحبه، ابن حوشب، في عاصمة الديار اليمنية وقد جاء لتهنئته بما أحرزه من فتوحات وانتصارات ومكاسب عظيمة لحركة الفاطميين في اليمن.

وأورد الشرفي تفاصيل هذا اللقاء فقال:

ولما علم منصور بن حسن بدخول علي بن الفضل صنعاء تجهز للمسير إليه، فوصل إليه وأقاما أياماً وابن الفضل يعظّم منصوراً ويجلّه ويقول: إنما أنا سيف من سيوفك. وكان منصور بن حسن يهاب علي بن الفضل ويخافه، ثم عزم علي بن الفضل على نزول تهامة فنهاه منصور بن حسن وقال له: الصواب أن تقف بصنعاء وانا بشبام سنة حتى نصلح جميع ما استفتحناه، فلم يسعده...(٩٢)

وربما أصاب ابن الفضل بعض الغرور بعد استيلائه على صنعاء، فلم يستمع لنصيحة صاحب الدعوة بالتريث قليلاً وعدم الخوض في مخاطر جديدة قبل توطيد الأمر لنفسيهما في المناطق التي افتتحاها، فجمع جيشه وسار به متجهاً

نحو بلاد تهامة الساحلية. ولكن ما إن وصل بجيشه إلى المعابر الجبلية الضيقة والشديدة الوعورة والتي تصل مابين صنعاء وتهامة، حتى خرج عليه الناس وحاصروه وجيشه في الشعاب الوعرة، وأصبح في وضع حرج جداً، ولم ينقذه من هذه الضائقة سوى إسراع صاحبه ابن حوشب بجيشه إلى انقاذه، فعاد هو إلى صنعاء، وابن حوشب إلى شبام.(٩٣) ومع ذلك لم يدخل اليأس إلى قلب ابن الفضل جرّاء هذه الحادثة، بل صمم على القضاء على آخر معاقل الحكم العباسي في اليمن المتمثل بحكم أمراء بني زياد في زبيد، وكان اميرهم في ذلك الوقت أبو الجيش اسحق بن ابراهيم بن محمد الزيادي(٩٤).

سار ابن الفضل أواخر تلك السنة، ٢٩٣هـ/٩٠٥م، باتجاه زبيد عبر طريق الكدرا، والتقى الزياديين خارج زبيد واستباحها، وقتل رجالها وسبى نسائها، وقتل واليها لبني العباس الذي فقدت بغداد بقتله أكبر ممثل لها في اليمن.(٩٥) وتمت بذلك سيطرة الحركة الفاطمية المطلقة على اليمن باستثناء منطقة صغيرة في الشمال حيث يقيم الامام الهادي الزيدي واتباعه. وتحقق حلم الامام الحسين بن احمد بإقامة دولة اسماعيلية تقيم الدعوة له ولولده المهدي في فترة قصيرة من الزمن. وأصبحت هذه الدولة محط أنظار اهل الدعوة والدعاة لأنهم اعتقدوا أنها المكان الذي سيظهر فيه الامام المهدي. وكاد الأمر ان يتم على هذا النحو لولا حدوث مالم يكن في الحسبان، ونعني بذلك انقلاب ابن الفضل على الدعوة وخروجه من مذاهب الاسلام، ومحاربته لابن حوشب، فهدم خلال سنوات قليلة ما بناه خلال ربع قرن من الزمان، فكان السبب المباشر الذي قضى على الحركة الفاطمية الأولى في اليمن.

حواشي الفصل الثالث

(١) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٨؛ ادريس، عيون الاخبار، ج٤، ص٦٣٠ وقال الجندي ينقل قول الامام لابن حوشب: يا أبا القاسم ان الدين والكعبة يمانية، والركن وكل امر يكون مبتدؤه من قبل اليمن فهو ثابت لثبوت نجمه. السلوك، ص ١٤٠؛ الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص٢٢،

(٢) نشوان الحميري، الحور العين، ص١٩٨,

(٣) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٨؛ ادريس، عيون الاخبار، ج٤ ص٦٣٠ – ٦٣١,

(٤) المصدران السابقان، ص ٣٨ – ٣٩؛ ج٤ ص٦٣١,

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٣ قسم٣ ص٧٦٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠؛ عمارة اليمن، تاريخ اليمن، ص٥,

(٦) الحمادي، كشف، ص٢١؛ وأنظر الجندي، السلوك، ص١٣٩؛ وجيشان قرية من مريس قرب قعطبة شمالي لحج وغربي بلاد يافع. معجم الاماكن الملحق بكتاب ابن سمره، طبقات فقهاء اليمن، ص ٣١١؛ الهمداني، صفة، ص١٠٢,

(٧) العبدلي، هدية الزمن، ص ٢٥، وينقل عن مخطوط للديبع الزبيدي يسمى قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون، وانظر: نشوان، الحور العين، ص ١٩٨؛ العصامي، سمط النجوم، ج٣ ص٤١٠؛ وخنفر من مخلاف أبين وقاعدتها وتقع قرب عدن. معجم الأماكن في طبقات فقهاء اليمن، ص٣١٤؛ ياقوت، معجم، ج٢ ص٣٩٤؛ الخزرجي، العسجد في زكار، اخبار القرامطة ص ٤١٨.

(٨) الهمداني، الصليحيون، ص٣٠؛ غالب، أعلام، ص ٣٨٦,

(٩) ابن خلدون، العبر، ج٣، قسم٣ ص٧٦٠، وج١٤قسم١ ص٦٥؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٦٠,

(١٠) تنظر مثلاً: النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٩؛ ادريس، عيون الاخبار ج٤، ص٦٣١؛ الحمادي، كشف، ص٢١؛ الجندي، السلوك، ص١٣٩؛ الشرفي، اللآلي، ج٢، ورقة ٨٤؛ يحيى، غاية الاماني، قسم١ ص١٩١؛ ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص ٣٨، الخزرجي في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤١٨ ومابعدها؛ Daftary,The Ismailis,P.118

(١١) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٩ – ٤٠؛ ونقلها ادريس، عيون الأخبار ج٤، ص٦٣١ – ٦٣٣,

(١٢) الحمادي، كشف، ٢١ – ٢٢,

(١٣) الجندي، السلوك، ص ١٣٩ – ١٤٠؛ الخزرجي في زكار، أخبار القرامطة، الفصل السادس.

(١٤) الخزرجي، العسجد، في زكار، أخبار القرامطة، الفصل السادس، ومحمد الحبيب هو الامام الذي التقى ابن حوشب وابن الفضل وأرسلهما إلى اليمن للدعوة له ولولده المهدي، وقد رأينا ان أسمه الحقيقي هو الحسن بن أحمد.

(١٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، قسم١ ص٦٥؛ وأخذ حسن ابراهيم حسن بهذا الرأي في تاريخ الاسلام، ج٣، ص٣٣٢، وعبيد الله المهدي، ص٧٢,

(١٦) يحيى، غاية الأماني، قسم١ ص١٩١؛ ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص٣٨، ٣٩؛ وكلاهما ينقل عن صاحب بهجة الزمن؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص٢٢؛ العبدلي، هدية الزمن، ص٥٢؛ وينقل عن الديبع الزبيدي في قرة العيون الشرقي، للآلي؛ ج٢، ورقة ٨٤؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة ص ٤١٣ ٤٣١؛ ومن غير هؤلاء:

العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص٤١٠، والذي يرى ابتداء أمر الدعوة على يد ابن الفضل سنة ٢٩٠هـ، بينما يذهب عبد العزيز الدوري إلى القول أن ابتداء

الدعوة كان في ٢٦٦ﻫ، العصر العباسي المتأخر، ص،١٦٣ وقال العرشي بأنها كانت في ٢٧٧ﻫ، بلوغ المرام، ص,٢٢

(١٧) الدواداري، الدرة المضية، ص,٦٣

(١٨) النعمان، إفتتاح الدعوة، إدريس، عيون الاخبار، ج،٤ ص,٦٣٢

(١٩) أورد الحمادي هذه الرواية بهذا الترتيب ولكنه جعل الامام، ويسميه ميموناً، الشخص الذي استمال ابن الفضل بمعاونة ولده عبيد، وأضاف بأن الامام قال لابن الفضل بعد أخذ العهد عليه: الحمد لله الذي رزقني رجلاً نحريراً مثلك استعين به على أمري وأكشف له مكنون سري، ثم كشف له أمر مذهبه. كشف، ص٢٢؛ ونقلها الجندي، السلوك، ص ١٣٩ ،

(٢٠) النعمان، افتتاح الدعوة، ص,٣٨

(١٢) تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج،١ ص,٢٧٢

(٢٢) الحمادي، كشف، ص,٢٢

(٢٣) المصدر ذاته، ص,٢٣

(٢٤) النعمان، افتتاح الدعوة، ص،٤١ أدريس، عيون الاخبار، ج،٤ ص,٦٣٣

(٢٥) المصدران السابقان.

(٢٦) المصدران السابقان.

(٢٧) الجندي، السلوك، ص,١٤٠

(٢٨) النعمان، افتتاح الدعوة، ٤٢؛ أدريس، عيون الاخبار، ج،٤ ص٦٣٥؛ وذكر الجندي أن الامام أوصى ابن الفضل بقوله: الله الله أوصيك بصاحبك خيراً وقرّه وأعرف حقه ولاتخرج عن امره فإنه أعرف منك ومني فإن عصيته لم ترشد.السلوك، ص١٤١؛ وانظر غالب، أعلام، ص ٢٣٤؛ الخزرجي، في أخبار القرامطة، ص,٤١٥

(٢٩) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٤١ – ٤٢، ويذكر افتتاحية الكتاب وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أب المسلمين وأمير المؤمنين ووارث الوارثين وسماء الطارقين وشمس الناظرين وقمر المستضيئين وقبلة المصلين وأمان الخائفين وقاتل أبليس اللعين، وركن الاسلام وعلم الاعلام وقلم الأقلام ويوم الأيام ونور التمام، رسالة عبد مسكين يعمل في البحر منذ سنين، لعل سفينه تنجو من الغرق فينجو من ينجو فيها من العطب.

وذكر الهمداني قول الامام لابن حوشب: اجمع المال والرجال، والزم الصوم والصلاة والتقشف، واعمل بالظاهر ولاتظهر الباطن، وقل لكل شيء باطن وان ورد عليك مالا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره.

الصليحيون، ص٣١؛ وانظر تامر، القرامطة، ص١٤٢، وتاريخ الاسماعيلية، ج١، ص٢٧٢ – ٢٧٣؛ غالب، أعلام، ص ٢٣٤,

(٣٠) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٤٢, وأورد الحمادي ذلك بشيء من التصرف مضيفاً شطراً آخر هو: تدرك ما أمّلته من أمر. كشف، ص٢٣, (٣١) المصدران السابقان، ص٤٢ – ٤٣؛ ٢٣, وذكرا أن سبب اعتزال الحوالى للحكم هو أنه ذُكر له ان داعية المهدي سيظهر في هذه السنة وسيغلبه ويخلعه عن ملكه؛ وانظر المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص٦٨,

(٣٢) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٤٤؛ المقريزي، الخطط، ج٢ ص١٦٠، اتعاظ، ص٦٨, وذهب آخرون إلى أن دخولهما اليمن كان سنة ٢٩٠هـ او ٢٩١هـ/ ٩٠٢– ٩٠٣م، ومن هؤلاء يحيى، غاية الأماني، ج١، ص١٩١؛ العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص٤١٠؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٥٣,

(٣٣) غلافقة بلدة على ساحل البحر الأحمر وكانت بندراً لمدينة زبيد. أنظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥٢,

(٣٤) عدن لاعة: قرية بقرب صنعاء، الهمداني، صفة، ص٦٩,

(٣٥) الجند: بلدة مشهورة تقع إلى الجنوب الغربي من صنعاء وهي من أرض السكاسك، وكانت مركز عمل تهامة اليمانية، الهمداني، صفة، ص,٥٤

(٣٦) يذكر الجندي أن أبن حوشب أُخبر بموضع عدن لاعة وقيل له أنها بجهة حجة، والتقى بعض اهلها التجار في عدن أبين. السلوك، ص,١٤١

(٣٧) عدن أبين: مدينة على الساحل الجنوبي لليمن؛ وهي ميناء هام للتجارة على المحيط الهندي، الهمداني، صفة، ص٥٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص,٨٩

(٣٨) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠؛ وذكر ادريس حول ذلك:

بينما كان ابن حوشب يسير في مخلاف بني طريف من ناحية صعدة، انقطعت نعله في منطقة تدعى رأس نفيل عجيب فمال إلى صخرة وجلس عليها ليصلح نعله، فأقبل اليه شيخ فقال: ممن الشيخ؟ فقال: رجل غريب. فقال له: أعندك علم من المهدي؟ فقال له المنصور: ومن المهدي أيها الشيخ؟ فقال الشيخ: إنه مأثور عندنا أن داعي المهدي تنقطع نعله فيقف على هذه الصخرة ليصلحها، فقال له المنصور: كلام الناس كثير.

قال: ولم أجد فيه انتباهاً. وسار المنصور حتى دخل صنعاء.

عيون الاخبار (تح . غالب)، ج٥، ص ٣٢ - ٣٣,

(٣٩) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٤٥؛ وأورد الحمادي هذا الخبر ولكنه لم يُشر إلى خبر ابن خليع مع ابن أبي يعفر. كشف، ص ,٢٥

(٤٠) جيشان: من مدن اليمن، وتقع شمال لحج وغرب بلاد يافع، الهمداني صفة، ص ,١٠٢

(٤١) قال عنها الحمادي ناحية باليمن أرضها جبلية. كشف، ص,٢٨

(٤٢) المصدر ذاته، ص ,٢٨

(٤٣) أنظر أعلاه حاشية رقم (٢٩).

(٤٤) حسين، طائفة الاسماعيلية، ص،١٣١

(٤٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ج،٢ ص,٢٨

(٤٦) حسين، طائفة الاسماعيلية، ص,١٣٣

(٤٧) الحمادي، كشف، ص ١١ - ١٥,

(٤٨) ربما كان التأليف والكتابة أسلوباً آخر من الأساليب التي أتبعها ابن حوشب في سبيل نشر دعوته، والتبشير بقرب ظهور المهدي من آل رسول الله. وهذا الأفترض مبني على وجود فصل من كتاب الرشد والهدية المنسوب إلى ابن حوشب. وحتى إذا صح هذا الافتراض فإننا لانستطيع تحديد الفترة أو الدور الذي تم فيه تأليف هذا الكتاب وإن كان مضمونه يشير إلى أنه لايمكن أن يكون قد كتب بعد ظهور محمد المهدي في المغرب سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، كما أن نسبة الكتاب إلى ابن حوشب غير مؤكدة تماماً، وقد نشر محمد كامل حسين النص العربي لهذا الفصل في: Collectanea, ,1948 Vol. ,1PP. 189 - 213

ونشره ايفانوف بعد ترجمته إلى الانكليزية في كتابه. Studies in Early Persian Ismailism ,PP. 32 - 59

(٤٩) يحيى، غية الاماني، قسم،١ ص١٩٢؛ ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ,٣٩

(٥٠) الحمادي كشف، ص،٢٥ الجندي، السلوك، ص,١٤

(٥١) ابن خلدون، العبر/ ج،٣ ق،٣ ص٧٦٠؛ المقريزي، اتعاظ، ص ،٦٨ ويقول: دعو للرضي من آل محمد. أما نشوان الحميدي فيقول أن ابن حوشب شهر السيف بعد وصوله إلى عدن لاعة، الحور العين، ص١٩٨؛ ونقل الشرفي ذلك عنه في اللآلي، ج،٢ ورقة ,٧٤

(٥٢) الحمادي، كشف، ص،٢٥

(٥٣) الجندي، السلوك، ص ,١٤١

(٥٤) الحمادي، كشف، ص ٢٥؛ وذكر الجندي أن حصن عبر محرم كان لقوم يعرفون بيني الفدعا، السلوك، ص ١٤٢، ونقل الهمداني عن عيون الاخبار أن ابن حوشب استعان بألف دينار، أعانه بها خمسة من أصحابه، في بناء الحصن، وأنه سكنه مع خمسين رجلاً من وجوه أهل دعوته. الصليحيون، ص ,٣٣

(٥٥) Daftary, The Ismailis, P.118

(٥٦) الهمداني، الصليحيون، ص ٢٤،

(٥٧) الحمادي، كشف، ص ,٢٦

(٥٨) المصدر ذاته، ص٢٦؛ وذكر محمود أن استيلاء بن حوشب على الحصن قد تم بالاتفاق مع بني العرجي وأنه لم يحارب أحداً، لأن ذلك لايتفق مع سياسة عدم التعدي على حقوق الغير التي كا يتبعها في الدور السلمي، تاريخ اليمن، ص,١٥٣

(٥٩) Daftary, The Ismailis, P118

(٦٠) ذكر بن المؤيد ان ابن الفضل نزل سروريافع لأنه وجد أهلها جهال رعاع لايعرفون الحقائق بل يتبعون كل ناعق.. أنباء الزمن، ص ٤٠، وانظر: يحيى، غاية الاماني، ق،١ ص١٩٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص,٤١٩

(٦١) الشرفي، اللآلي، ج،٢ ورقة ٨٥؛ الخزرجي، في زكار أخبار، ص,٤١٩

(٦٢) الحمادي، كشف، ص٢٨؛ أنظر أيضاً: الجندي، السلوك، ص١٤٣؛ الشرفي، اللآلي، ج،٢ ولاقة ٨٥؛ يحيى، غاية الاماني، ق،١ ص١٩٢؛ ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص٤٠؛ العرشي، بلوغ المرام، ص٢٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص٤١٩؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٤٠٤؛ الهمداني، الصليحيون، ص ,٣٣

(٦٣) الجندي، السلوك، ص١٤٣؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص٤١٩ .

(٦٤) الحمادي، كشف، ص٢٨؛ وأنظر العبدلي، هدية الزمن، ص٥٣؛ الخزرجي، في زكار، أخبر القرامطة، ص ,٤١٩

(٦٥) من هؤلاء: يحيى، غاية الأماني، ق،١ ص ١٩١؛ ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص٢٩؛ ابن سمرة، طبقات، ص٧٥؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٢٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ,٤٢٠

(٦٦) النعمان، افتتاح الدعوة، ص،٤٤ المقريزي، الخطط، ج،٢ ص،١٦٠ اتعاظ ص,٦٨

(٦٧) لنعمان، افتتاح، ص,٤٤

(٦٨) المصدر ذاته، ص ,٤٦

(٦٩) المصدر ذاته، وذكر الحمادي والجندي أن إرسال الهدايا إلى الامام والد المهدي كان في سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، كشف، ص٢٨؛ لسلوك، ص ،١٤٢ بينما يوافق الشرفي النعمان بأن ذلك تم سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م، وينقل ذلك عن الخزرجي، للآلي، ج،٢ ورقة ٨٥؛ سرور النفوذ الفاطمي ، ص٦٠؛

(٧٠) الحمادي، كشف، ص٢٦؛ وأنظر الشرفي، اللآلي، ج،٢ ورقة ٨٥؛ الهمداني، الصليحيون، ص٣٤؛ محمود، تاريخ اليمن، ص١٣٧

(٧١) المصدر ذاته، ص،٢٦ وذكر أن ابن حوشب بني قصراً سماه دار التحية فعند ذلك أحل ماحرم الله.... كشف، ص,٢٧ انظر أيضاً الشرفي، اللآلي، ج،٢ ورقة ٨٥؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٣؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص,٤٠٤

(٧٢) الهمداني، الصليحيون، ص٣٤ ـ ٣٥؛ محمود، تاريخ اليمن،ص١٣٧؛ تامر، القرامطة، ص,١٤٣

(٧٣) بن المؤيد، بناء الزمن، ص ٣٩؛ يحيى، غاية الأماني، ق١ ص١٩٢؛ الحمادي، كشف، ص٧٢؛ الهمداني، الصليحيون، ص ,٣٥

(٧٤) غالب، أعلام، ص٢٣٨؛ ونظر، النعمان، افتتاح، ص٣٢؛ الهمداني، الصليحيون، ص٣٥؛ حسن، الدولة الفاطمية، ص ،٤٠٤ وقال هو منصور اليمن.

(٧٥) يقول حسن ابراهيم حسن أن ابن حوشب اصبح ذا مكانة عالية لدى الامام بحيث كلفه بتدريب الداعي ابو عبد الله الشيعي الصنعائي قبل إرسال الأخير إلى المغرب سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م؛ إذ لما اتصل بابن حوشب نبأ موت ابي سفيان داعي الاسماعيلية في بلاد المغرب عهد إلى أبي عبد الله الشيعي القيام بالدعوة إلى هذا المذهب، وقال له: أن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك. الدولة الفاطمية، ص ٤٧؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص ,٦٠

(٧٦) Daftary, The Ismailis, P01180

(٧٧) الحمادي، كشف، ص٢٦؛ الجندي، السلوك، ص,١٤٢

(٧٨) تامر، القرامطة، ص,١٤٣

(٧٩) الحمادي، كشف، ص,٢٦

(٨٠) النعمان، افتتاح، ص ٤٧؛ وانظر، المقريزي، اتعاظ، ص٦٨؛ ابن خلدون، العبر، ج،٤ ق،١ ص،٦٢

(٨١) الحمادي، كشف، ص,٢٨

(٨٢) تامر، القرامطة، ص١٤٣؛ انظر أيضاً الحمادي، كشف، ص٢٨؛ الخزرجي، في زكار، أخبار، ص٤٢٩؛ الهمداني، الصليحيون، ص٣٥؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ٣٦؛ تامر، القرامطة، ص١٤٣؛ محمود، تاريخ اليمن، ص,١٣٩

(٨٤) الحمادي، كشف، ص٢٩؛ وانظر؛ ابن المؤيد، أبناء لزمن، ص ٤٠ - ٤١؛ يحيى، غاية الاماني، ق،١ ص ١٩٣؛ الخزرجي، في زكار، أخبار، ص(٤٢٠)؛ العرشي، بلوغ المرام، ص٢٢؛ العبدلي، هدية الزمن، ص٣٥؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٣٦؛ محمود، تاريخ اليمن، ص,١٣٩

(٨٥) الحمادي، كشف، ص٢٩ - ٣٠؛ الجندي، السلوك، ص١٤٣؛ ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٤٣؛ ابن سمرة، طبقات، ص ,٧٦

(٨٦) وقال بذلك كل من: الهمداني، الصليحيون، ص٣٦؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٣٩؛ تامر، القرامطة، ص ,١٤٣

(٨٧) ومن القائلين بذلك: ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص٤٣؛ يحيى، غاية الاماني، ق،١ ص ١٩٥؛ الشرفي، اللآلي، ج،٢ ورقة ٨٦؛ وأغرب عمارة اليمن فقال ان استيلاء علي بن الفضل على المذيخرة كان في سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م وهذا مخالف للواقع لأن بن الفضل توفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م. والمرجح أنه استولى عليها سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م. لأنه هاجم صنعاء في السنة التالية لاحتلاله للمذيخرة.

(٨٨) الشرفي، اللآلي، ج،٢ ورقة ,٨٦

(٨٩) الجندي، السلوك، ص ١٤٤؛ الحمادي، كشف، ص ٣٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار، ص,٤٢١

(٩٠) ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص٤٤؛ يحيى، غاية الأماني، ق،١ ص ١٩٦؛ ويذكر الجندي أن دخول ابن الفضل لصنعاء كان سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م، السلوك، ص ،١٤٤ والحقيقة أن ابن الفضل دخل صنعاء مرتين، كما سنرى، الأولى كانت سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م، ولكنه لم يسيطر عليها بشكل فعلي إلا عندما دخلها للمرة الثانية ٢٩٩هـ/ ٩١١م.

(٩١) الطبري، تريخ الامم، ج،١١ ص ,٣٩٤

(٩٢) الشرفي، اللآلي، ج،٢ ورقة ،٨٦ وانظر أيضاً الحمادي، كشف، ص ٣٢؛ يحيى، غاية الأماني، ق،١ ص ١٩٧ - ,١٩٨

(٩٣) الشرفي اللآلي، ج٢، ورقة ٨٦؛ يحيى، غاية الاماني، ق١، ص١٩٧.

(٩٤) المصدران السابقان، أنظر إيضاً: الجندي، السلوك، وذكر الحمادي ان صاحب زبيد هو لمظفر بن حاج، كشف، ص٣٢؛ وكذلك الهمداني، الصليحيون، ص ٣٧؛ وأورد الطبري أن الخليفة العباسي عقد لمظفر حاج على اليمن في ٣ شوال من سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م، وان الأخير بقي في ليمن حتى وفاته، تاريخ الأمم، ج١١ ، ص ٣٩٨.

(٩٥) الهمداني، الصليحيون، ص٣٧؛ انظر أيضاً: الجندي، السلوك؛ ص ١٤٥؛ الحمادي، كشف، ص٣٢؛ يحيى، غاية الاماني، ق١، ص١٩٨؛ ويقول هؤلاء أن ابن الفضل سبى أربعة آلاف عذراء أمر جنوده بذبحهن أثناء عودتهم إلى صنعاء قادمين من زبيد، لئلا يفتتن الجنود بهن، فيشغلونهم عن الجهاد.

الفصل الرابع

ثورة ابن الفضل على ابن حوشب ونهاية الحركة الفاطمية الأولى في اليمن

١ـ داوفع الثورة:

لاحظنا خلال دراستنا لانتشار الحركة الفاطمية في اليمن أنه كان هناك اتفاق كامل بين ابن حوشب، زعيم الحركة، ومساعده ابن الفضل؛ وأن الثاني أظهر كل احترام وتقدير لرئيس الدعوة خلال الدور السلمي والقسم الأول من الدور الحربي. وكان من نتيجة هذا التعاون والاتفاق ان خضع معظم اليمن لنفوذ الاسماعيلية بعد تحطيم سلطة الامراء المحليين المعادين للدعوة، وأصبح هذا القطر مؤهلاً لأن يكون مكان ظهور الامام المهدي الذي كان يقيم مستتراً في سلمية حتى اوائل التسعينات من القرن الثالث الهجري. كما خدمت اليمن كقاعدة هامة لنشر الدعوة الاسماعيلية إلى مناطق مجاورة كاليمامة، وأخرى بعيدة أيضاً كالسند.(١)

وكان ابن حوشب، خلال ذلك، يهاب ابن الفضل ويخافه على نفسه لما أظهره من شجاعة وشهامة وإقدام في سبيل نشر الدعوة وقهر أعدائها ورفع لوائها. وعندما احتل ابن الفضل صنعاء، سُرّ ابن حوشب بهذا الفتح وسار إليه حتى لاقاه في صنعاء «واجتمعا وفرح كل منهما لصاحبه»(٢) وحافظ ابن الفضل على هذه العلاقات الطيبة مع ابن حوشب طوال مايقرب العشرين عاماً او أكثر. ولكنه ما إن شعر بازدياد قوته ونفوذه بعد استيلائه على مدينتي المذيخرة وصنعاء، ٢٩٣هـ/٩٠٥م،(٣) وسيطرته على معظم أرجاء اليمن الغربي، حتى قام، وهو اليمني القحطاني الطموح، باظهار ما أضمره، وإعلان ما أخفاه في صدره من رغبة في التفرد بحكم اليمن والاستقلال عن كل تبعية داخلية(لابن حوشب) أو خارجية (للامام المهدي)، ولو أنه كان قد بايع للامام المستور الحسين بن أحمد ولولده المهدي من بعده، وحقق ما وصل إليه بفضل قيامه بالأمر باسمه. وقد ألصق به المؤرخون تهمة الزندقة والخروج على مذاهب الاسلام وإباحة المحرمات، وادعاء النبوّة، وهي التهم التي اعتاد المؤرخون نسبتها إلى كل مخالف وخارج على النظام، وقد وردت هذه التهم في أبيات شعرية منسوبة إلى أحد شعراء ابن الفضل والتي قالها بعد احتلاله للمذيخرة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م، ومطلعها:

خذي الدف ياهذه والعبي — وغني هزاريك ثم اطربي

تولى نبي بني هاشم — وهذا نبي بني يعرب

لكل نبي مضى شرعة — وهذي شرائع هذا النبي(٤)

وسنعمد الآن إلى استعراض الروايات الفاطمية وغير الفاطمية التي وردت في المصادر الأولية، وكذلك آراء المؤرخين المحدثين، من أجل تحديد الاسباب والدوافع التي كانت وراء انقلاب ابن الفضل على الحركة الفاطمية في اليمن، وخروجه على ابن حوشب ودعوته الاسماعيلية.

من الملاحظ أن الروايات الاسماعيلية ترى أن ثورة ابن الفضل على الدعوة قد حدثت بعد أن بدأ الامام المهدي، آخر أئمة دور الستر وأول أئمة دور الظهور والذي تولى مقاليد الامامة سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م، رحلته المشهودة من

سلمية في الشام إلى المغرب (افريقية) عبر فلسطين ومصر(٥). وتعمد هذه الروايات إلى الربط بين هذه الثورة وبين حادثة هرب الداعي فيروز(٦)، أحد كبار دعاة المهدي ومرافقه في رحلته، إلى اليمن عندما علم، وهو في مصر، أن الامام محمد المهدي ينوي التوجه إلى المغرب وليس إلى اليمن كما كان شائعاً في بداية الرحلة. فالقاضي النعمان يذكر أنه لمافشا خبر المهدي بسلمية قرر الرحيل، وسار مع ولده القائم حتى انتهى إلى مصر وأمل أن يقصد اليمن، وكان قد تقدم بعض دعاته فقصد اليمن قبله وفسد أمره وأتى إلى ابي القاسم صاحب دعوة اليمن فأراد أن يستزله فوجده ثابتاً على أمره فانصرف عنه إلى علي بن الفضل صاحبه وكان في ناحية من اليمن - فاستماله وأفسده.(٧)

وجاء في سيرة الحاجب جعفر أن أصحاب المهدي، ومنهم الداعي فيروز، كانوا لايشكون في ان المهدي قد أزمع على الرحيل إلى اليمن عندما فشا خبره في سلمية، وكانوا على هذا الاعتقاد حتى صاروا إلى مصر. وهناك أظهر لهم الامام لمهدي أنه ينوي السير إلى المغرب، وعند ذلك تغيرت نية الداعي فيروز وخالف الامام وسار إلى اليمن ونزل على أبن حوشب ولم يخبره بحقيقة أمر مجيئه. ولما بعث الامام المهدي بكتاب إلى ابن حوشب يخبره فيه بأمر الداعي، قام هذا الداعي بالفرار إلى ابن الفضل حيث تمكن من استمالته وافساده. غير أن ابن حوشب تمكن من القضاء عليهما بعد قتال دام مدة طويلة.(٨)

أن ماورد في رواية الحاجب جعفر يناقض ما أورده القاضي النعمان. فالأخير يرى أن الامام المهدي كان يأمل في الذهاب إلى اليمن، غير أن خروج الداعي فيروز إليها وإفساد علي بن الفضل جعله يغيّر رأيه، ويغيّر بالتالي وجهة سفره ويحولها من اليمن إلى افريقية. أما الحاجب جعفر فيرى أن الامام المهدي جعل أصحابه يتوهمون أنه متوجه إلى اليمن حتى صاز إلى مصر. ولما أخبرهم هناك بأنه متوجه إلى المغرب تغيّرت نية الداعي فيروز عليه، لسبب غير معروف، وخالفه وسار إلى اليمن حيث أفسد ابن الفضل وفتنه. ولكن من المحتمل أن يكون الامام المهدي قد عدل عن التوجه إلى اليمن بعد أن فشا خبر ذهابه إليها(٩)، وأن هرب الداعي فيروز قد تم والامام لا يزال في مصر. وعندما أراد

المهدي الخروج من مصر كان فيروز قد افسد ابن الفضل، فلم يعد له خيار سوى الذهاب إلى المغرب.

ورواية الداعي عماد الدين أدريس لاتختلف عن رواية الحاجب جعفر فهي تؤكد خروج فيروز من مصر إلى اليمن بعد أن

أحزنه مسير الامام إلى المغرب، واستبعد المسافة، فتخلف بمصر، وسار إلى اليمن، وكان الامام المهدي بالله عليه السلام يقول: عجبت لرجلين من شيعتنا أحدهما تغمّه مفارقتنا والآخر تغمّه صحبتنا.

ووصل فيروز إلى داعي اليمن أبي القاسم المنصور قدس الله روحه، فأحسن استقباله وأكرم مثواه لما كان يعرفه من محله عند الائمة عليهم السلام. ثم أن فيروز أراد أن يضله ويغويه، فوجد نيته في ولاء الأئمة عليهم السلام قوية، ونفسه تشعشع أنوارها مضيئة، فلما لم يجد فيه حيلة، توجه إلى علي بن الفضل فوجد فيه مراده، واستفزهما الشيطان وصارا من أهل الضلال والطغيان، وخرجا عن جملة أهل الأيمان فظفر منصور اليمن بفيروز فقتله، وحارب علي بن الفضل...(١٠)

فالروايات الاسماعيلية اذن ترى في هرب الداعي فيروز من مصر إلى اليمن عاملاً رئيسياً في ثورة ابن الفضل الذي كان لديه الاستعداد النفسي للقيام بمثل هذا الفعل لدى أية بادرة تحريض أو تشجيع، ولكنها لاتشير إلى أية أسباب أخرى كانت وراء هذه الحركة. أما الروايات غير الاسماعيلية، فليس فيها إشارة واضحة إلى سبب معيّن لثورة ابن لفضل، فقد أورد يحيى ابن الحسين أنه

لما تمكّن ابن فضل من صنعاء لم يحسن فيها صنعا، بل أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوّة، ورقى منبر جامع صنعاء فخطب خطبة منكرة .صرّح فيها بعقيدته الكفرية، وحمد عليها من تابعه من تلك الفرق الغوية.(١١)

وذكر الحمادي أن ذلك كان قبل لقاء ابن الفضل لصاحبه ابن حوشب، وقيل أنه لما التقى به عاتبه ابن حوشب على ما أظهره ودعا إليه، ولكنه خادعه

وجعل يكبره ويقول له: «إنما أنا سيف من أسيافك والمنصور يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه»(١٢) من ذلك؛ يبدو أن ابن الفضل لم يخرج على الدعوة الاسماعيلية نهائياً خلال هذه الفترة، أي في سنة ٢٩٤هـ٩٠٦م، بل حافظ على ارتباطه بابن حوشب، وأن الأخير أنقذه من مأزق حرج عندما حوصر في شعاب جبال تهامه أواخر ذلك العام (١٣). واستمر ابن الفضل يخادع ابن حوشب حتى سنة ٢٩٩هـ/٩١١م(١٤)، وقيل سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م.(١٥) ففي تلك السنة، وجد ابن الفضل نفسه يسيطر على معظم نواحي اليمن بعد أن استولى على صنعاء وزبيد وقتل الأضداد، فقام بتعطيل دعوة ابن حوشب وخلع طاعة المهدي الفاطمي الذي كان يدعو اليه، وكتب إلى ابن حوشب بذلك.(١٦)

وقام الهمداني، وهو من المؤرخين المحدثين، باستعراض الروايات التي مرّ ذكرها أعلاه، وناقشها ورأى انه كان عند ابن الفضل نزعة استقلالية عندما نزل الداعي فيروز اليمن، وأن الأخير قوىّ لديه هذه النزعة، وأفسده وأخرجه من الدعوة(١٧). وكان ابن حوشب على علم أيضاً بهذه النزعة، وحاول أن يطوّق نفوذ ابن الفضل ويحدّ منه، وبقي حذراً منه،(١٨) كما كتب إلى المهدي الفاطمي قبل خروجه من سلميه يخبره بانحراف ابن الفضل، فكان ذلك هو السبب الذي دفع الامام المهدي إلى تغيير وجهة رحلته إلى المغرب بدلاً من اليمن(١٩). ورأى الهمداني أيضاً أن المؤرخين بالغوا في نسبة إحلال المحارم وارتكاب الفواحش إلى ابن الفضل دونما الاتيان بأدلة تثبت ذلك وقال:

ولا نتصور أن المجتمع اليمني يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة، بل أكثر، لو كان ارتكب في أواخر عهده ما نسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة، وقد يجوز انه بالغ في يمنيته، وتطرف في قحطانيته حتى تعدى حدود الاسلام.(٢٠)

وأخذ عارف تامر بما جاء في المصادر الاسماعيلية بخصوص علاقة خروج الداعي فيروز إلى اليمن بانتقاض ابن الفضل، وأكد أنه لما فشل فيروز في اقناع ابن حوشب بما أراده،(٢١) سار إلى علي بن الفضل فوجد لديه قبولاً. وأضاف بأن ابن حوشب حاول منع ابن الفضل وفيروز من تنفيذ ما أضمراه دون

جدوى، واضطر إلى إعلان الحرب عليهما. وذكر سبباً آخر دفع ابن الفضل إلى الثورة على ابن حوشب واعلان استقلاله، وهو إيثار الامام محمدا لمهدي لابن حوشب وتقديمه له على ابن الفضل، وتوجيهه الرسائل والاوامر إليه، الأمر الذي لم يرض ابن الفضل عنه، وانفت نفسه منه(٢٢). كما أشار إلى علاقة ابن الفضل بأبي سعيد الجنابي الذي كان يتزعم الحركة القرمطية في البحرين، والذي كان هو الآخر منشقاً على دعوة الامام محمد المهدي، وأنه كان على اتصال به.(٢٣)

وقد أكد كل من الأعظمي(٢٤) وحسن ابراهيم حسن(٢٥) أيضاً وجود علاقة بين هرب الداعي فيروز إلى اليمن وخروج علي بن الفضل على ابن حوشب ودعوته، وأن هذه الثورة حدثت بعد وصول فيروز.

ورأى ف. دفتري أن ابن الفضل بدأ يظهر علامات عدم الولاء للمهدي ابتداءً من عام ٢٩١هـ/٩٠٢م. وفي عام ٢٩٩هـ/٩١١م أعلن، بعد اعادة استيلائه على صنعاء للمرة الثانية، خلع بيعة المهدي علناً، وألغى الشريعة، وادعى أنه هو نفسه المهدي. وكان للداعي فيروز علاقة مباشرة بهذا الأمر.(٢٦)

في ضوء ماتقدم، يمكننا تقرير بعض الدوافع التي حدت بابن الفضل إلى الخروج على دعوة ابن حوشب واعلان استقلاله عن الحركة الفاطمية، وأولها يكمن في شخصية ابن الفضل نفسه. فمع أننا لانعرف الكثير عن حياته وأمور دولته، إلاّ أن الاعمال التي قام بها، والفتوحات التي حققها تدل على أنه كان شخصية بارزة، وقائداً بارعاً، وحاكماً ناجحاً فخوراً بقحطانيته، حسب تعبير الهمداني.(٢٧) وهذا ما أكسبه احترام رئيس الدعوة في اليمن الذي كان يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته واقدامه،(٢٨) ولم يعزله أو يطرده من الدعوة مع أنه كان يعلم بميوله الاستقلالية عندما اجتمعا في صنعاء(٢٩). كما أن قوة شخصية ابن الفضل تظهر في انه كان يوهم أصحابه إن ابن حوشب من جملة اتباعه وسيفٌ من سيوفه. وكون ابن الفضل صاحب شخصيه فذه ويميني فخورٌ بقحطانيته، جعله يطمح إلى أن يصبح حاكم دولة مستقلة وليس مجرد حاكم صغير يتلقى الأوامر والتوجيهات من رئيس آخر.

ويتصل بهذا الدافع دافع آخر يتعلق بمركز ابن الفضل في الدعوة الاسماعيلية في اليمن. فالمعروف أن الامام المستور الحسين بن أحمد، والمهدي من بعده، كان قد بعثه مع ابن حوشب وجعله تابعاً للأخير. وكان الامام يتصل بابن حوشب ويخصه بالرسائل والأوامر التي كان يبلغها بدوره إلى ابن الفضل، وهذا مالم يعد ابن الفضل يقبل به وأنفت نفسه منه بعد ان أصبح سيد قسم كبير من بلاد اليمن.

والدافع الرئيس الثالث نستدل عليه بما أوردته المصادر اليمنية غير الاسماعيلية عن احتمال وجود علاقة بين ابن الفضل وأبي سعيد الجنابي، رئيس قرامطة البحرين، الذي كان منشقاً عن دعوة المهدي أيضاً. ففي الكتاب الذي بعث به ابن الفضل إلى ابن حوشب يطلب منه أن يدخل في طاعته،(٣٠) إشارة إلى حركة ابي سعيد الجنابي يظهر منها أنه إن لم يكن على اتصال بالجنابي، فإنه كان على علم بحركة القرامطة في الشام والعراق، ووجد فيها ما يشجعه على القيام بتحقيق آماله وطموحاته في الزعامة والاستقلال. وإغفال المصادر الاسماعيلية لهذه الاشارة لايقلل من أهميتها في كونها أحد الدوافع الهامة التي أسهمت في خروج ابن الفضل وانقسام الدعوة.

والدافع الأخير الذي نرى أنه أسهم في خروج ابن الفضل كان هرب أحد دعاة الامام محمد المهدي - فيروز - إلى اليمن بقصد إفساد الأمر هناك بعد تصميم المهدي على التوجه إلى المغرب بدلاً من اليمن. ومع أننا لم نستطع تعليل هذا الهرب إلا أنه كان بحد ذاته سبباً مباشراً لثورة ابن الفضل الذي كان لديه الاستعداد النفسي والعملي للقيام بالثورة واعلان الاستقلال. فقد وجد الداعي الهارب في ابن الفضل الشخص المناسب لاخراج اليمن عن طاعة المهدي، بعد أن فشل في إقناع ابن حوشب واستمالته. وما أن أسرّ لابن الفضل بما أراده حتى استجاب له وخلع طاعة المهدي وأعلن الاستقلال. وكان ذلك بدء انقسام الحركة الفاطمية في اليمن ونشوب الصراع بين رفاق الأمس، وبداية النهاية لهذه الدعوة.

٢ ـ الصراع بين ابن حوشب وابن الفضل:

نظراً لعدم وجود معلومات كافيه في مصادرنا الاسماعيلية حول هذا الجانب من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن، فإننا سنعتمد على ما اوردته المصادر الأخرى، والتي مال إلى الأخذ بها معظم المؤرخين المحدثين.(٣١) ونقول أنه ربما بدات ميول ابن الفضل الاستقلالية تظهر حوالي سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م، بعد استيلائه على صنعاء لأول مرة.(٣٢) وبعد مجيء الداعي الهارب فيروز إلى اليمن وتشجيعه لابن الفضل على الخروج عن طاعة المهدي، وجد ابن الفضل الفرصة سانحة لتحقيق طموحه، خاصة وأنه أضحى سيد اليمن بلا منازع عندما دخل صنعاء للمرة الثانية سنة ٢٩٩هـ/٩١١,(٣٣) وحول هذا الأمر يقول الحمادي اليماني: «فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الأضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي والرؤساء وطرد بني زياد وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ولم يبق له ضد يناوئه عطل المنصور وخلع عبيد بن ميمون»(٣٤).

وكتب ابن الفضل إلى صاحب الدعوة، ابن حوشب، يخبره بما عزم عليه ويسأله أن يدخل في طاعته، ولم يشأ ابن حوشب أن يقسو عليه، فردّ عليه بجواب فيه لين ومعاتبه وتذكير بالعهود والمواثيق التي قطعها ابن الفضل على نفسه، وبالضرر الذي سيلحق بالحركة نتيجة الانقسام، وأن ذلك سيتيح الفرصة للاعداء لاعادة جمع شملهم والانقضاض عليها؛ ومما قاله ابن حوشب المنصور في كتابه:

«كيف تخلع من لم تنل خيراً إلا به وتترك الدعاء إليه فما تذكر ما بينك وبينه من العهود وما أُخذ علينا جميعاً من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق»(٣٥) ولكن جواب ابن الفضل تضمّن الكثير من الخبث والمكر والانتهازية، فقد كتب إلى ابن حوشب يقول:«إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولي بأبي سعيد الجنابي اسوة لأنه خلع ميموناً وأبنه ودعا إلى نفسه، وأنا أدعو الى نفسي فإما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي وإلا خرجت اليك.(٣٦)».

باستلام ابن حوشب لهذا الرد، أيقن أن صاحبه قد عزم على الاستقلال، وأنه لن يتراجع عن هذا القرار، فكان عليه اتخاذ خطوات حربية ضرورية للدفاع

عن دعوته وأصحابه اتباع الدعوة. فقام بتحصين جبل مسوّر، وأعدّ فيه جميع مايحتاجه للحصار، وكان يقول لأصحابه: «إنما حصنت هذا الجبل من هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشر بوجهه حين اجتمعنا بصنعاء»(٣٧). ولم يلبث ابن الفضل أن خرج لقتال ابن حوشب، وسار إليه بجيش كثيف قوامه عشرة آلاف مقاتل اختارهم من الرجال المعدودين في عسكره، وخرج ابن حوشب بألف مقاتل، والتقى الجمعان في شبام.(٣٨) ولم تكن المعركة متكافئة بين الطرفين ، فانسحب ابن حوشب إلى بلدة لاعة ثم طلع جبل الجميمة القريب من مسور، فلحقه ابن الفضل بعساكره وحاصره، واستمر الحصار طوال ثمانية أشهر. ولما طال الحصار ولم يدرك ابن الفضل غايته وملّ المقام هناك، أرسل بن حوشب إليه من يفاوضه بأمر الصلح فوافق على ذلك بعد أن رسل ابن حوشب ولده إليه رهينة، وكدليل على دخوله في طاعة ابن الفضل.(٣٩) وهكذا أصبح ابن الفضل سيد اليمن بلا منازع بعد ان أخضع صاحبه ورئيسه السابق، ابن حوشب، الذي لم يتمكن من الحصول على أية مساعدة من الامام محمد المهدي القائم في المغرب في تلك الفترة لانشغاله بإرساء قواعد دولته الوليدة. وعمل ابن حوشب خلال الفترة المتبقية من حياته على الحفاظ على البقية الباقية من أتباعه المخلصين له ولدعواته.

٣ - أعمال ابن الفضل ونهاية الحركة الفاطمية في اليمن:

عاد ابن الفضل إلى المذيخرة بعد عقد الصلح مع ابن حوشب ومعه ولد ابن حوشب الذي بقي عنده لمدة عام كامل أعاده بعدها إلى والده وقد طوّقه بطوق من ذهب.(٤٠) وفي المذيخرة عمد ابن الفضل إلى تحليل المحرمات وإباحة المحظورات وارتكاب الفواحش التي ينسبها إليه المؤرخون اليمنيون،(٤١) والتي نرى أن فيها الكثير من المبالغة وعدم الواقعية. فقد ذكر العصامي أن ابن الفضل غلا في عقائده وخرج على مبادىء الاسلام وادعى النبوّة، وأن المؤذن أذّن في مجلسه: «وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله»، وصار يكتب إلى عماله: «من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها، علي بن الفضل إلى عبده

فلان»(٤٢) ونُسبت إليه أعمال شنيعة كثيرة أُخرى ليس لنا أن نحصرها كلها هنا.(٤٣)

وفي نظر الكتاب الاسماعيليين، كان علي بن الفضل خارجاً على الدين الحنيف أيضاً. فذكر القاضي النعمان ان الداعي فيروز عندما لم يستطع أن يستنزل ابن حوشب سار إلى رفيقه «فسخر منه، فانسلخ علي بن الفضل من امر الله وأمر أوليائه، واستحل المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس إلى الاباحات...ومات على ذلك من غيّه وضلاله»(٤٤) وجاء على لسان الداعي عماد الدين ادريس قوله أن علياً بن الفضل «كان قد نكث عهده، واستهواه الشيطان وأضلّه، ففارق الدعوة وخرج من الملة ...وافترى على الله وعلى أوليائه، مقتدياً بالمضلين من قبله، فكان له شرّ أسوة، واستمال الجهال، فكانوا له من الأنصار والأتباع، فارتكب المحارم، ومال إلى الاباحات، وكفر بعد ايمانه، وباء بلعنة الله»(٤٥).

وهكذا نجد أن مصادرنا الاسماعيلية وغير الاسماعيلية ترى في حركة ابن الفضل الاستقلالية خروجاً على الدين الحنيف والشريعة لاسلامية، ولذلك فإنه ليس لنا أن ننسب إلى ابن حوشب ودعوته ما قام به ابن الفضل واتباعه من ارتكاب المحارم والفواحش وتعطيل المذاهب، لأن ابن حوشب ظل على ولائه للفاطميين حتى وفاته، وكان دائم الأتصال بهم في جميع المناسبات، فظل متمسكاً بالدعوة على حد قول الهمداني الذي ينقل عن الداعي ادريس أيضاً قوله:

وعجباً لمن ينسب إلى أهل الدعوة من أتباع الأئمة أفعاله، وهم إلى الله وإلى أوليائه منه براء، ولا يفعلون مافعل، ولا يرون مايرى، قائمون بالأعمال الشرعية من الطهارات والصوم، مؤتون الزكاة، حاجون بيت الله الحرام، متولون محمداً صلى الله عليه وسلم وعلياً وصيه...(٤٦)

أما فيما يتعلق بامور دولة ابن الفضل وأحوالها في هذه الفترة فلا نعلم عنها إلا القليل، والواضح أنه تابع أعماله الحربية لاخضاع حركات التمرد التي كانت تقوم هنا وهناك ضد تسلطه وهيمنته. كا تصالح مع أسعد بن أبي يعفر الحوالي، صاحب صنعاء السابق، وعينه والياً على صنعاء، فخطب أسعد لابن الفضل، ولبس البياض، وقطع ذكر بني العباس، وذلك اواخر سنة ٢٩٩هـ/

٩١١م.(٤٧) ويذكر يحيى بن الحسين أن ابن الفضل حاول نشر مذهبه ومد سيطرته ونفوذه خارج حدود اليمن، فبعث قائدين من قواده هما حسن بن محمد بن أبي الملاحق الصنعائي، ومحمد بن درهم الجنابي إلى مكة سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، لكن عامل المدينة قبض عليهما وضربهما بالسياط حتى ماتا ثم صلبهما.(٤٨) وبعث برجلين إلى بني جيش فقتلا أيضاً.(٤٩) ماعدا ذلك لانجد في مصادرنا شيئاً يذكر، فلا نعلم شيئاً عن علاقة ابن الفضل بالامام الزيدي القائم في صعده، والذي كان ينافس الحركة الفاطمية، ولا عن علاقة ابن الفضل بقرامطة البحرين.

لكن ابن الفضل لم يستطع التنعم طويلاً بالزعامة والاستقلال، إذ لم تنقض سنوات ثلاثة على حركته حتى توفي بعد ان فصده أحدهم بمبضع مسموم. وقد اختلف المؤرخون حول شخصية الطبيب الذي قام بعملية الفصد، وكذلك من يقف وراء هذه الخطة المحكمة لقتل ابن الفضل والتخلص من سطوته وآثامه وشروره. فالداعي عماد الدين أدريس يقول أنه بعد أن

قوي أمر ابن الفضل وملك صنعاء، وكان ذلك وقد صار امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام في دار ملكه بافريقية، وظهر أمره، واشتهر فضله في البرية، فلما بلغه صلوات الله عليه حال هذا اللعين [يعني بن الفضل] وانه استفحل أمره، واجتمع إليه أتباعه اللعناء الكافرون، امر رجلين من أهل دعوته، وممن في حضرته حتى وصلا إلى مدينة صنعاء، وتسميا أنهما طبيبان، حتى دخل أحدهما على ابن الفضل لعنه الله ففصده وجعل في مفصده سماً قاتلاً. وخرج من عنده وبادر بالهرب هو وصاحبه، ومات ابن الفضل لعنه الله، وعجل الله بروحه إلى النار، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار، وأخذ أصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين فصداه، وما زالوا يتبعونهما ويسألون عنهما حتى انتيها إلى موضع تحت (نقيل صيد)، فأدركا هناك وقتلا رحمة الله عليهما ...وانقطع أمر اللعين علي بن الفضل بعد موته، وتفرق أتباعه من الغوغاء اللعناء(٥٠

أما الحمادي اليمني، وينقل عنه الخزرجي، فيجعل الطبيب رجلاً شريفاً من بغداد وصل إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر، الذي كان قد ولي صنعاء لعلي بن الفضل،

وكان جراحاً ماهراً وله براعة في استخدام الأدوية، وفتح العروق ومداواة الجرحى. وعندما رأى هذا الغريب شدة خوف وحذر ابن ابي يعفر من ابن الفضل قال له: قد عزمت علي ان أهب نفسي لله وللمسلمين، وأريح الناس من هذا الرجل الطاغي، فقال له أسعد: لئن فعلت، ثم عدت إليّ لأقاسمنك فيما أنا فيه من الملك، فأخذ منه عهداً وميثاقاً وخرج من صنعاء يريد المذيخرة [مقر ابن الفضل]، فلما قدمها خالط وجوه الدولة وكبراءها وسقاهم الأدوية النافعة، وفصد من أحتاج إلى الفصد، وأنتفع به أناس كثير، فرفع ذكره إلى علي بن الفضل، وأثني عليه في حضرته، وقيل له إن لايصلح إلا لمثلك.

فلما كان ذات يوم أحب الفصاد، فطلبه، فلما حضر بين يديه جرده من ثيابه وغسل المبضع وهو ينظر وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل، فلما دنا منه ليفصده، وقعد بين يديه، مص المبضع تنزيهاً لنفسه، ثم مسحه بأطراف شعره، كالمجفف له، فعلق منه ماعلق من السم، ثم فصد الأكحل وربطه، وخرج من فوره هارباً من المذيخرة،

وبعد ساعة أحسّ ابن الفضل بالسم فطلب الطبيب الغريب فلم يجد له خبرً فأرسل العسكر وراءه وأدركوه في وادي السحول وهو في طريقه إلى صنعاء، ورفض تسليم نفسه وقاتل حتى قتل، وتوفي علي بن الفضل عقب ذلك ليلة الخميس النصف من ربيع الآخر سنة ثلاثة وثلاثمائة، وكانت مدة حكمه سبع عشرة سنة.(٥١)

وقيل أن ذلك كان في سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م(٥٢) أي بعد وفاة ابن حوشب بعام واحد، غير ان الاشارات الموجودة في المصادر الاسماعيليه تجعلنا نشك بصحة هذا التاريخ؛ فقد نقل كل من الهمداني ومحمود عن الداعي عماد الدين ادريس، صاحب عيون الاخبار، قوله«ان الداعي أبا القاسم استقرّ امره بعد قتل هذا اللعين»(٥٣) كما ورد في سيرة الحاجب جعفر ان ابن حوشب حارب ابن

الفضل وفيروز حتى قتلهما.(٥٤) وربما كان العكس هو الصحيح، أي أن وفاة ابن الفضل كانت في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، ووفاة ابن حوشب في سنة ٣٠٣هـ/٩١٥,

وقام بالأمر بعد مقتل ابن الفضل ولده الفأفأ. وقد فرح أهل اليمن بوفاته، كما يخبرنا الجندي، وقاموا بالكتابة إلى أسعد بن أبي يعفر لمحاربة اتباع ابن الفضل.(٥٥) وكان ابن بي يعفر ينتظر مثل هذه الفرصة، فما إن سمع بوفاة بن الفضل حتى سارع إلى جمع جيش من أهله وأهل الجند والمعافر، وسار به إلى المذيخرة عاصمة ملك الفأفأ بن علي بن الفضل، وحاصرها لمدة عام كامل.(٥٦) وتمكن ابن أبي يعفر من دخول المذيخرة بعد ذلك وقتل الفأفأ وأصحابه وأتباعه، وسبى بناته، وخرّب المدينة، وانقطعت دعوة ابن الفضل من مخلاف جعفر سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م.(٥٧)

وهكذا يكون ابن الفضل قد قضى على دعوته بنفسه عندما ثار على رئيسه ابن حوشب، مما أضعف الحركة الفاطمية في اليمن، وأضعف رجالها، وأتاح الفرصة لاعدائها للنهوض من جديد ومحاربتها بكل شدة وعنف وشراسة.

أما ماحدث لابن حوشب ولحركته بعد الصلح الذي عقده مع علي بن الفضل وحتى وفاته سنة ٣٠٢هأو ٣٠٣هـ/٩١٤أوا ٩١٥م، فلا نجد في مصادرنا أية إشارة إلى ذلك. غير أننا نعلم ان ابن حوشب أصبح ضعيف الجانب بعد عقد هذا الصلح، خاصة وأن سيّده الامام محمد المهدي، القائم في إفريقية، لم يستطع إرسال أية مساعدة إليه في ذلك الوقت، لانشغاله بإرساء قواعد الدولة الفاطمية الوليدة في المغرب.(٥٨) ويبدو أن ابن حوشب اضطر إلى التستر والتواري عن الأنظار، وإلى العمل بشكل سري للحفاظ على بعض المكتسبات التي حققها سابقاً. ولم تطل مدته بعد ذلك، إذ لم يلبث أن ادركته المنية في سنة ٣٠٢ أو ٣٠٣هـ/٩١٥م(٥٩).

ولم يعين ابن حوشب أحداً من أبنائه الكثر لرئاسة الدعوة من بعده، وترك الأمر للامام المهدي، لكنه أشار إلى علوّ منزلة عبد الله بن عباس الشاوري، أحد أعوانه المقربين وتلامذته المخلصين، وتفضيله إياه على ولده الحسن بن منصور.(٦٠) ولما دنت منيته أوصى لولده الحسن، ولعبد الله الشاوري للقيام

بالأمر ورئاسة الحركة حتى يرد أمر المهدي بولاية أحدهما، ومما قاله لهما في ذلك:«أوصيكما بهذا الأمر فاحفظاه ولاتقطعا دعوة [أئمتنا]. فنحن غرس من غروسهم، ولولا مادعونا إليه من طاعتهم لم يتم لنا مراد وعليكم بمكاتبة إمامنا المهدي فلا تقطعا أمراً دون مشاورته»(٦١).

٤ـ الحركة الفاطمية في اليمن بعد ابن حوشب:

واجهت الحركة الفاطمية في اليمن تراجعاً دينياً وسياسياً واضحاً عقب وفاة ابن حوشب الداعي الأكثر حماساً للامام المهدي الفاطمي، فانتهت الدولة التي أسسها خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ومع ذلك فإن جذوة الدعوةلم تخبو تماماً بل استمرت نشطة، بشكل مستور خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وبقيت بعض القبائل اليمنية على ولائها السري للدعوة، وخاصة قبائل همدان.

وبعد وفاة ابن حوشب، قام ابنه الحسن بزيارة للامام محمد المهدي في المهدية بالمغرب وسأله أن يوليه أمر الدعوة في اليمن، لكنه وجد أن الامام كان قد أرسل بالولاية إلى عبد الله بن عباس الشاوري، أول الدعاة السبعة الذين تولوا رئاسة الدعوة السرية في اليمن خلال الفترة من ٣٠٣هـ/٩١٥م وحتى ٤٢٩هـ/١٠٣٨م تاريخ ظهورها مرة أخرى على يد علي بن محمد الصليحي في عهد الامام الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله(٦٢). عاد الحسن بن منصور إلى اليمن خائباً وهو مضمر الشر للشاوري، ومصمم على قتله والتخلص منه على الرغم من أن والده ابن حوشب هو الذي كان قد فضله عليه ورشحه لهذا الأمر. وبالفعل فقد أخذ الحسن بن منصور يدبر لقتل الشاوري والاستيلاء على رئاسة الدعوة متجاهلاً تحذيرات اخوته، وعلى رأسهم جعفر بن منصور، له. وفي أحد الأيام من سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، سنحت الفرصة للحسن عندما دخل على الشاوري ولم يجد أحداً غيره، فعاجله بالسيف وقتله، واستولى على الحكم، ولما استوثق من الأمر جمع رعايا دولته

وأشهدهم على نفسه انه قد خرج من مذهب [أبيه] إلى مذهب أهل السنة. فأحبه الناس ودانوا له فدخل عليه أخ يسمى جعفر فنهاه عما فعل وقبّحه

عليه، فلم يلتفت إليه، وقتل [أتباع أبيه] الذين حوله وشردهم في كل وجه، لكن الأمر لم يطل بالحسن إذ وثب عليه نائبه ابن أبي العرجاء أثناء دخوله بلدة عثر محرم، وقتله واستولى على ماتحت يده. ثم وثب المسلمون على أولاد منصور بن حسن وحريمهم أثناء خروجهم إلى جبل ذي عسب وقتلوهم وسبوا نسائهم، واقتسم كل من ابراهيم بن عبد الحميد وابن أبي العرجاء البلاد نصفين وعاد ابراهيم إلى مذهب أهل السنة وخطب للخليفة العباسي.(٦٣)

وتتبع ابراهيم بن زياد وولده مواصلة من تبقى من أتباع منصور اليمن بالقتل والتشريد حتى لم يبقى منهم سوى عدد قليل التجأوا إلى ناحية مسور، وتولى أمرهم رجل يدعى يوسف بن موسى بن أبي طفيل زمن الامام الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣١٧ ـ ٣٦٥هـ).(٦٤) ولم يطل العهد بابن أبي طفيل، إذ قتله ابراهيم بن عبد الحميد، فتولى أمر الدعوة بعده جعفر بن أحمد بن عباس الذي يقال أنه ابن أخي عبد الله بن عباس الشاوري، خليفة ابن حوشب. وجاء بعد جعفر عبد الله بن محمد بن بشر الذي عاصر الامام الخليفة العزيز بالله (٣٤٤ ـ ٣٨٦هـ) ثم جاء هرون بن محمد بن رحيم الذي عاصر الامام الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٧٥ ـ ٤١١هـ). وقد تلقى من الامام الحاكم سجلاً سنة ٣٩١هـ، يوجهه فيه لتنظيم أمور الدعوة في اليمن.(٦٥) وتولى شؤون الدعوة بعد هرون يوسف بن أحمد بن الاشجع، وهو من أهل شبام حمير، وكانت مدة ولايته خلال عهد الحاكم بأمر الله أيضاً، وأخيراً تولى سليمان بن عبد الله الزواحي من ضلع شبام حمير أمور الدعوة باعتباره آخر دعاة هذا لدور، وأدرك عهد الخليفة الامام الحاكم بأمر الله، وولي عهده الظاهر، وكان مركز عمله في حصن كوكبان.(٦٦)

ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء الدعاة قاموا بأعمال ونشاط في اليمن في عهد أطلق عليه المؤرخون أسم عهد الشدائد والمحن، وفقدان المصادر والأخبار، وظلوا على هذه الحال حتى ظهور الداعي الثامن، علي بن محمد الصليحي، رأس الأسرة الصليحية، والذي تمكن في عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م من التغلب على سائر

أنحاء اليمن، ووطد الأمر لنفسه ولأسرته من بعده، والتي حكمت اليمن باسم الخلفاء الفاطميين قرابة قرن من الزمان، حتى عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م(٦٧)

وعادت اليمن، بعد انحسار الحركة الفاطمية الأولى على أرضيها، إلى التمزق والتشتت السياسي مرة أخرى، وكما كانت الحال قبيل مجيء ابن حوشب إليها مع بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وراحت عدد من الأسر المتنافسة تتقاسم ذلك البلد وأهمها: الزيادية (٢٠١ - ٤١٢هـ/٨١٩ - ١٠٢١م) وعاصمتها زبيد في تهامة، واليعفرية (٢٤٧ - ٣٨٧هـ/٨٦١ - ٩٩٧م) في صنعاء والجند، والنجاحية الذين كانوا في الأصل من الأحباش عبيد الزياديين، والذين ورثوا الدولة الزيادية لفترات متقطعة من (٤١٢ - ٥٥٤هـ/١٠٢١ -١١٥٩م) في زبيد، بينما استمر وجود الزيديين في صعدة في شمال اليمن.(٦٨)

٥- جعفر بن منصور اليمن:

رأينا قبل أن نختم حديثنا عن الحركة الفاطمية الأولى في اليمن التي قامت بفضل الجهود الجبّارة التي بذلها منصور اليمن ابن حوشب، الذي تمكن بفضل شدة بأسه وشجاعته ودرايته وذكائه واخلاصه وتفانيه المنقطع النظير من تأسيس دولة فاطمية في مدى قصير من الزمن، في بيئة سياسية واجتماعية تميز بها اليمن على مرّ العصور، أحسن استغلالها وتوظيفها في خدمة حركته وأهدافه، رأينا أن نشير إلى ما حققه أحد أبناء هذه الشخصية الفذة والعبقرية المتميزة، جعفر بن منصور، من مآثر حربيه وفكرية كرّسها لخدمة أئمته ودولتهم الفاطمية الناشئة في افريقية (المغرب). والمعروف ان ابن حوشب خلّف عدداً من الأبناء والبنات، واشتهر من أولاده في التاريخ أثنان: حسن بن منصور، وهو الأكبر والذي رأينا كيف استاء من تولية والده لعباس الشاوري في رئاسة الدعوة من بعده، وقتل الشاوري بعد ذلك، وانقلب على مذهب أبيه، لكنه سرعان مانال جزاء مااقترفته يداه عندما قتله احد أصحابه، فكان الصفحة القاتمة والفرع المريض في ذرية منصور اليمن، والثاني جعفر بن منصور الذي يمثل الصفحة الغرّاء في ذرية والده ابن حوشب.

وكان جعفر بن منصور قد رفض اتباع أخيه الحسن في انقلابه على دعوة أبيه وعودته إلى مذهب أهل السنة، وبقي على ولائه للفاطميين، وغادر اليمن متوجهاً إلى شمال افريقية حيث يقيم الامام القائم بأمر الله، ثاني الأئمة الخلفاء الفاطميين (٢٨٠ - ٣٣٤هـ/٨٩٢ - ٩٤٤م) في المهدية. وهناك دخل جعفر في خدمة الامام القائم بأمر الله، وخلفائه من بعده، وساهم بسيفه في الدفاع والقتال ضد الثائرين على الدولة الفاطمية الوليدة. ففي عام ٣٣٣هـ/٩٤٥م، قاتل جعفر ضد المتمرد أبو يزيد مخلد بن كيداد الذي كان يحاصر المهدية في أواخر عهد الامام الخليفة القائم بأمر الله. وتم دحر أبو يزيد بفضل استبسال وشجاعة المدافعين، وخلد جعفر انتصار الفاطميين هذا بقصيدة يقولها فيها:

الحمد لله هذا الفتح والظفر	هذا الذي كان للايمان ينتظر
فاستبشروا يارجال الدين وانتدبوا	لحرب قوم هم ضلوا وهم كفروا
فان وعد امير المؤمنين لكم	حق به جاءت الآيات والسور(٦٩)

كما قاتل في عهد الامام المنصور (٣٠١ - ٣٤١هـ/٩١٣ - ٩٥٣م)، خليفة القائم بأمر الله، ضد أبي يزيد بن مخلد مرة أخرى، وذلك في سنة ٣٣٥هـ/٩٤٧م، حيث سجل الامام الخليفة المنصور انتصاراً ساحقاً على المتمرد أبي يزيد. وخلّد جعفر هذه الموقعة أيضاً في اشعاره فقال:

يهنيك نصر ابما قد رمت من سبب	يا سيد الخلق من عجم ومن عرب
يوم المسيلة يوم لاكفأله	ولم يكن قبله في سالف الحقب
لما غدا المارق الدجال مختبلا	كالكلب في سجف معداه في الكلب
وسيد الخلق اسماعيل حينئذ	في موكب الخيل مثل البدر في الشهب
وسيف جديه اعني ذو الفقاريه	إلى الرشاد استفادت جمرة العرب
فادبرت عصب الدجال وانقلبت	تحت السيوف الصوادي شر منقلب(٧٠)

كانت لمواقف جعفر بن منصور من أعداء الفاطميين، ومشاركته في القتال ضدهم، ونظم الأشعار في وصف تلك الانتصارات، وإخلاصه لأئمة، الأثر الكبير في أن أخذ جعفر يرتقي درجات رفيعه في ظل الأئمة الخلفاء، فانصرف إلى البحث والتأليف والتصنيف، وأصبح من أهم ممثلي المدرسة الفكرية التي تبنّت التأويل والإصلاح العقائدي الذي كان الامام المعز لدين الله (٣١٧ - ٣٦٥هـ/٩٢٩ - ٩٧٧م) يعمل على تحقيقه.(٧١) وقد قرّبه الامام المعز إليه ووفر له أسباب العيش المادية، لكنه لم يتسلم أية مناصب عامة في دولة الفاطميين في أفريقية، بل تفرغ للكتابة والتأليف. غير أن الداعي عماد الدين أدريس ينسب إليه ارتقاؤه درجات رفيعه فاقت درجة القاضي النعمان بن حيون زمن الامام المعز. وتوفي جعفر في تاريخ غير معروف تماماً، لكنه بعد الامام المعز بفترة وجيزة (أي بعد ٣٦٥هـ/٩٧٧م)(٧٢)

ويورد المستشرق المعروف ايفانوف (W.Ivanow) المتخصص بالدراسات الاسماعيلية، في كتابه (المرشد إلى الادب الاسماعيلي)(٧٣) أهم أعمال ومصنفات جعفر بن منصور المعروفة وهي:

١- كتاب الكشف: حققه شتروطمان، بومباي، ١٩٥٢، ويبحث في ميثولوجية القرآن الكريم وتفسيره الباطني.

٢- أسرار النطقاء: وهو عبارة عن كتابين في كتاب واحد، ويبحث بشكل رئيسي في تأويل الأمثال والقصص القرآني والتوراتي.

٣- الشواهد والبيان في اثبات مقام أمير المؤمنين والأئمة: وهو في تفسير الآيات التي تشير صراحة إلى الامام علي ومقام خلفائه من بعده.

٤- تأويل الزكاة: وفيه شرح للمعنى الباطني لفريضة الزكاة، وهو من أفضل ما كتبه المؤلف.

٥ - الفترات والقرانات: ويعرف باسم الجفر الأسود، غير أن كراوس يرى أنه لايمكن لهذا الكتاب، كما هو في نسخته المنتشرة عند الاسماعيليين البهرة، أن

يكون من تأليف جعفر بن منصور لأن فيه اشارات إلى الابن المزعوم للآمر بالله، الطيب ، الذي اختفى وغاب عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م.

٦- الفرائض وحدود الدين: وهناك كتاب آخر بعنوان تأويل الفرائض، للمؤلف نفسه.

وله أيضاً: الرضى في الباطن، وتأويل الحروف المعجمة، وتأويل سورة النساء، وسيرة ابن حوشب (وهو مفقود)، كما ينسب إليه كتاب العالم والغلام، المنسوب إلى والده ابن حوشب.

حواشي الفصل الرابع

(١) Daftary, The Ismailis, P.118&

(٢) الجندي، السلوك، ص ,١٤٥

(٣) ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص,٤٥

(٤) ومنها:

اذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلي واشربي

ولاتمنعي نفسك المعرسين من اقربي ومن اجنبي

وما الخمر الا كماء السماء حلالاً فقدست من مذهب

وقد وردت هذه الأبيات في معظم كتب المؤرخين غير الاسماعيلين، ومنها: الحمادي، كشف، ص٣١؛ الجندي، السلوك، ص١٤٤؛ نشوان الحميري، الحور العين، ص,١٩٩

(٥) اليماني، سيرة جعفر (الحاجب)، ص ,١١٢

(٦) كان فيروز داعي الدعاة وأجلّ الناس عند الامام وأعظمهم منزلة والدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده وهو باب الأبواب إلى الأئمة . المصدر ذته، ص,١١٠

(٧) النعمان، افتتاح، ص ,١٤٩

(٨) اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص ١١٤ ـ ١١٥، سرور، النفوذ لفاطمي، ص,٦٣

(٩) جاء في رواية الحاجب جعفر ان الداعي ابن العباس قال للنوشري، عامل العباسيين على مصر، حين سأله عن حقيقة المهدي المختفي عنده: أما الرجل النازل عليّ فوالله لا وصل إليه شيء إلا ما يصل إليّ لأنه رجل هاشمي شريف، تاجر من وجوه التجار، معروف بالفضل والعلم واليسار، والذي

أتى الرسل في طلبه قد اعطيت خبره أنه توجه إلى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة.سيرة الحاجب جعفر، ص١١٣؛ انظر أيضاً ماورد عند سرور في النفوذ الفاطمي، ص ٦٢ - ٦٣,

(١٠) ادريس، عيون الأخبر، (تح.غالب)، ج٥، ص٩٥ - ٩٦؛ وقد أورد الهمداني هذه الرواية في كتابه، الصليحيون،، ص ٤١,

(١١) غاية الأماني، قسم١، ص ١٩٧؛ انظر أيضٌ؛ ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص ٤٤٦؛ الشرفي، اللآلي، ج٢، ورقة ٨٦,

(١٢) الحمادي، كشف، ص٣٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٢,

(١٣) الخزرجي المصدر ذاته، ص٤٢٢ - ٤٢٣,

(١٤) الشرفي، اللآلي، ج٢، ورقة ٨٦؛ يحيى، غاية الأماني، قسم١: ص٢٠٢,

(١٥) ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص٥٤،

(١٦) يحيى،غاية الأماني، قسم١ ص٢٠٢؛ الخزرجي، في زكار، خبار القرامطة،ص ٤٢٥،

(١٧) الهمداني، الصليحيون، ص ٤٠؛ وقد وردت هذه الأراء خلال مناقشته لانتقاض علي بن الفضل على الحركة الفاطمية في اليمن، وتشمل الصفحات ٣٩ - ٤٧,

(١٨) المصدر ذاته، ص ٤٤,

(١٩) المصدر ذاته، ص ٣٩ - ٤٠,

(٢٠) المصدر ذاته، ص ٤٣؛ انظر يضاً: محمود، تاريخ اليمن، ص ١٤٥ - ١٤٦؛ ولذي يورد مثل هذه الآراء وله ذات التساؤلات.

(٢١) ذكر تامر أن الداعي فيروز أخبر ابن حوشب بأن الأمام المستور الذي كانوا يبشرون به ويعملون له ظهر أنه عبيد الله، وعبيد الله هذا من نسل القداحيين كما هو معلوم، وكما كان يقول عن نفسه، فلم يجد أذناً صاغية. القرامطة، ص ,١٤٤

(٢٢) المصدر ذاته، ص١٤٤؛ وأيضاً للمؤلف، تاريخ الاسماعيلية، ج١، ٢ص ٢٧٦,

(٢٣) المصدر ذاته، ص ١٤٤؛ وكان ابتداء أمر الجنابي في البحرين سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، وقتل على يد خادم له سنة ٣٠١هـ/ ٩٣١م. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٩٣، وج٨، ص٨٣,

(٢٤) الأعظمي، عبقرية الفاطميين، ص ٧٥ - ٧٦,

(٢٥) حسن وشرف، عبيد الله المهدي، ص ,٢٣٣

(٢٦) Daftary, The Ismailis, PP.131 - 134

(٢٧) الصليحيون، ص ٣٢، ونظر: تامر، القرامطة، ص١٤٤,

(٢٨) الحمادي، كشف، ص ,٣٢

(٢٩) ذكر البهاء الجندي أنه عندما هدد ابن الفضل صاحبه منصور اليمن بالحرب إن لم يدخل في طاعته، صعد منصور إلى جبل مسور وحصّنه وقال: إنما حصّنت هذا الجبل من هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشر بوجهه حين إجتمعنا بصنعاء السلوك، ص ١٤٦؛ وانظر أيضاً الحمادي، كشف، ص٣٥؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ,٤٢٥

(٣٠) ذكر الحمادي ان ابن الفضل بعث إلى ابن حوشب كتاب يبرر له فيه ثورته وخروجه على الحركة الفاطمية، ويدعوه إلى الدخول في طاعته، وجاء فيه: إنما هذه الدنيا شاة، ومن ظفر بها افترسها ولي بأبي سعيد الجنابي اسوة لأنه خلع ميموناً وابنه ودعا إلى نفسه، وأنا ادعو إلى نفسي فإما نزلت

على حكمي ودخلت في طاعتي وإلاّ خرجت إليك. كشف، ص٣٣؛ والجندي، السلوك، ص١٤٦؛ الشرفي، اللآلي، ج٢ ورقة ٨٦.

(٣١) ومن هؤلاء: الهمداني، الصليحيون، ص ٤٤ ومابعدها؛ محمود تاريخ اليمن، ص ١٤٦ ومابعدها؛ حسن؛ تاريخ الاسلام، ج٣ ص ٣٣٧ - ٣٣٨؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص٦٣ ومابعدها؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٥ - ١٤٦، الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٢٢ - ٢٣؛ العصامي، سمط النجوم، ج٣ ص٤١٠.

(٣٢) انظر أعلاه، دوافع الثورة، ص٨٣ وما بعدها.

(٣٣) انظر اعلاه، ص ١٠٥.

(٣٤) الحمادي، كشف، ص ٣٣؛ وانظر يضاً: الجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ الشرفي، اللآلي، ج٢ ورقة ٨٦؛ ابن المؤيد، نباء الزمن، ص ٥٤؛ يحيى، غاية الأماني، قسم١ ص ٢٠٢؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٤٢٥ ومابعدها.

(٣٥) الجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ وانظر أيضاً: ابن المؤيد، أنباء الزمن، ٥٤؛ الشرفي، اللآلي، ج٢ ورقة ٨٦؛ الخزرجي، في زكار أخبار القرامطة، ص٤٢٦؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٤٥.

(٣٦) الحمادي، كشف، ص٣٣؛ والجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٣.

(٣٧) الجندي، السلوك، ص١٤٦.

(٣٨) الحمادي، كشف، ص ٣٥.

(٣٩) المصدر ذاته، ص ٣٦؛ وانظر أيضاً: الجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ الهمداني والصليحيون، ص ٤٦؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣؛ الخزرجي، في زكار، خبار القرامطة، ص٤٢٦؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج٣ ص٣٣٧.

(٤٠) الجندي، السلوك، ص١٤٦؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٦,

(٤١) الحمادي، كشف، ص ٣٦؛ الجندي، السلوك، ص ١٤٧؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص٢٢؛ العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص ٤١٠؛ ويرى ابن المؤيد أن هذه الاباحات قام بها ابن الفضل عندما دخل صنعاء لأول مرة، أنباء الزمن، ص ٤٥ - ٤٦,

(٤٢) الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٦؛ العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص ٤١٠؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٢٢؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج٣، ص ٣٣٨,

(٤٣) منها، على سبيل المثال، ان بن الفضل عمل داراً واسعة يجمع فيها الرجال والنساء من أهل مذهبه للاختلاط في ظلمة الليل، انظر: الجندي، السلوك، ص ١٤٧؛ الحمادي، كشف، ص ٣٦,

(٤٤) افتتاح الدعوة، ص ١٥٠,

(٤٥) وقد نقل ذلك الهمداني في الصليحيون، ص ٤٣؛ وأشار Dftary إلى ذلك في. The Ismailis, P. 131&

(٤٦) المصدر ذاته، ص ٤٣,

(٤٧) الشرفي، اللآلي، ج٢، ورقة ٨٦؛ يحيى، غاية لأماني، قسم١ ص ٢٠٢,,

(٤٨) يحيى، غاية الاماني، قسم١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣,

(٤٩) المصدر ذاته، قسم١ ص ٢٠٣,

(٥٠) الصليحيون، ص٤٦؛ ادريس، عيون الاخبار (تح. غالب)، ج٥، ص٤٣؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٤٨؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٣٣٨,

(٥١) كشف، ص ٣٦ -٣٧؛ الخزرجي، في زكر، أخبار القرامطة، ص ٤٢٦ - ٤٢٧؛ وأخذ بهذا الرأي كل من: الجندي، السلوك، ص١٤٨؛ الشرفي،

اللآلي، ج٢ ورقة ٨٦؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٦؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣، وذكر يحيى وابن المؤيد أن وفاة ابن الفضل كنت بعد ألم ألمّ به ولم يشير إلى السم، غاية الاماني قسم٢ ص٢٠٨، أنباء الزمن، ص ,٦٢

(٥٢) وقد ورد ذلك في المصادر غير الاسماعيلية.

(٥٣) الهمداني، الصليحيون، ص ٤٨؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ,١٤٨

(٥٤) اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص ,١١٥

(٥٥) الجندي، السلوك، ص ,١٤٩

(٥٦) المصدر ذاته، ص١٤٩؛ والحمادي، كشف، ص ٣٧ - ,٣٨

(٥٧) انظر بالاضافة إلى المصدرين السابقين: يحيى، غاية الاماني، قسم١ ص٢٠٩؛ ابن المؤيد أنباء الزمن، ص ٦٢؛ نشوان، الحور العين، ص ٢٠٠؛ الشرفي، اللآلي، ج٢ ورقة ٨٧؛ لعرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣؛ الهمداني الصليحيون، ص ٤٨؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٨؛

Daftary, The Ismailis, p.132&

(٥٨) انظر أعلاه، ص١١٤ - ,١١٥

(٥٩) انظر أعلاه، ص ,١١٩

(٦٠) الهمداني، الصليحيون، ص ٤٩؛ سرور، سياسة لفاطميين، ص ،٧٤

(٦١) الجندي، السلوك، ص ١٥٠، والحمادي، كشف، ص ٣٩؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٩؛ سرور، النفوذ الفطمي، ص ,٦٦

(٦٢) تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج٣ ص ,١٤٧

(٦٣) انظر: الحمادي، كشف، ص ٣٩ - ٤١؛ الجندي، السلوك، ص ١٥٠ - ١٥٢، الشرفي، اللآلي، ج٢ ورقة ٨٧؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٩ - ٤٣١؛ العرشي، بلوغ المرام، ص٢٤؛ حسن، تاريخ

الاسلام، ج٣، ص ٣٣٨؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٤٨ - ١٤٩؛ سرور، سياسة الفاطميين، ص ٧٥؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٥٠ - ٥١.

(٦٤) المصدر ذاته، والصفحات ذاته.

(٦٥) تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج٣، ص ١٤٧.

(٦٦) المصدر ذاته، ج٣، ص ١٤٧.

(٦٧) Daftary, The Ismailis, P.208

(٦٨) المصدر ذاته، ض ٢٠٨.

(٦٩) ادريس، عيون الاخبار (تح. غالب)، ج٥، ص ٢٠٦.

(٧٠) المصدر ذاته، ج٥، ص٢٧٤.

(٧١) Daftary,The Ismailis, P179

(٧٢) المصدر ذاته، ص ١٧٩.

(٧٣) W.Ivanow, Ismaili Literature, P.20 FF.

ملاحظات ختامية:

ـ أولاً: التشيع لعلي بن أبي طالب في اليمن قديم قدم الاسلام في ذلك القطر. فقد كان لسفارة علي في اليمن أثرها الكبير في إسلام العديد من القبائل اليمنية وفي مقدمتها قبائل همدان التي أسلمت كلها في يوم واحد على حد قول الطبري، وأصبحت همدان منذ ذلك الحين من أكثر القبائل اليمنية إخلاصاً وموالاة لعلي.. وقد ظهر ذلك في معركة صفين التي حاربت فيها قبائل همدان إلى جانب الخليفة علي بن أبي طالب ضد العامل المتمرد معاوية بن أبي سفيان، وبقيت هذه القبائل تشكل نواة التشيع في اليمن بعد اغتيال الخليفة علي.

وعلى الرغم من سياسة القمع التي سار عليها الامويون، ومن بعدهم العباسيون، ضد شيعة علي وانصاره في كل مكان، إلاّ أن اليمن بقيت مسرحاً لظهور الحركات الشيعية. ففي بداية القرن الثالث الهجري ظهرت أول دعوة علوية كان لها من الأنصار ما أقلق بال الخليفة المأمون العباسي ودفعه إلى إرسال إبن زياد ليقضي عليها، ويؤسس الدولة الزيادية في اليمن. ثم ظهرت الدعوة الزيدية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وأدت إلى هيمنة الزيدية على اليمن قرابة الألف عام. وفي الفترة ذاتها قامت الحركة الفاطمية الأولى التي استمرت حتى أوائل القرن الرابع الهجري.

ـ ثانياً: كان لموقع اليمن الجغرافي وبُعده عن عاصمة الخلافة الاموية والعباسية، دمشق وبغداد، إلى جانب طبيعته التضريسيه ووعورة أرضه، أثره في جذب حركات المعارضة السياسية والدينية إلى ذلك القطر النائي. فكان أن ظهرت مجموعة من الدويلات المستقلة كالزيادية في زبيد، واليعفرية في صنعاء، وبقيت أنحاء اليمن الأخرى تخضع لسلطان زعماء محليين متنافسين فيما بينهم ومتحاربين، وهذا ما مهد السبيل وساعد في انتشار الحركة الفاطمية الاولى على يدي ابن حوشب وصاحبه ابن الفضل اللذين أحسنا استغلال جو الفرقة والتناحر هذاا في نشر مبادىء حركتهما وكسب الأنصار إليهما.

ـ ثالثاً: وقف التنظيم الدقيق والمحكم الذي تميزت به الدعوة الاسماعيلية في تلك الفترة وراء نجاح هذه الدعوة في نشاطاتها السرية والعلنية، وكانت سلمية، البلدة الرابضة على أطراف البادية إلى الشرق من مدينة حماه في سورية، مقراً لهذا التنظيم الذي بقي بعيداً عن أعين العباسيين بفضل مقدرة أئمة دور الستر على اخفاء حقيقة أمرهم، وإقامتهم لشبكة من المقرات السرية في دورهم وقصورهم، انكشفت آثار بعضها حديثاً، والتي استخدمت كمراكز لتدريب الدعاة وتأهيلهم، ومن هؤلاء ابن حوشب وابن الفضل. وكانت سلمية في ذلك الوقت مركزاً تجارياً هاماً على أطراف بادية الشام، سكنها التجار من مختلف الطبقات، واتخذها الأئمة الاسماعيليون المستورون مقراً لهم، لأنهم كانوا يتزيون بزي التجار. ومن هذا المركز، كان الامام الاسماعيلي يدير شؤون دعوته في مختلف أنحاء الخلافة الاسلامية عبر شبكة من الدعاة والتنظيمات المعقدة.

رابعاً: مع ان سلمية كانت مقر إقامة الأئمة المستورين الاسماعيلين ومركز نشاطاتهم الادارية والفكرية، إلاّ أن الكوفة كانت المكان الذي أتخذوه لكسب الأنصار الجدد لدعوتهم، وذلك لقرب لكوفة من ضريح الحسين بن علي في كربلاء. وكربلاء هي قبلة الحجاج الشيعة الثانية يؤمّونها بعد أنتهاء موسم الحج إلى مكة. ومن هذا المركز كانت تنطلق قوافل الدعاة الذين كان يبعث بهم الأئمة المستورون إلى مختلف المناطق؛ لأن هذا المكان لايثير الشبهة لدى خلفاء بني العباس. وفي هذا المكان كان لقاء ابن حوشب وابن الفضل بالامام المستور الحسين بن أحمد (أو رضي الدين عبد الله)، ومنه انطلقا فيما بعد إلى اليمن للقيام بالدعوة الاسماعيلية هناك.

ـ خامساً: كان لاختيار الامام المستور، الحسين بن أحمد، الداعيتين لإرسالهما إلى اليمن مغزاه الذي يعبّر عن بعد نظر الأئمة في تقديرهم للأمور. فإرسال داعيتين إلى منطقة واحدة يتيح لهما التعاون والتعاضد في عملهما، ويشكلان تنظيمين منفصلين إذا انكشف أحدهما، يبقى الآخر في مأمن يتابع عمله ومهمته للوصول إلى هدفه وتحقيق غايته. وقد اختار الامام الحسين الداعي ابن حوشب لترأس الدعوة في اليمن نظراً لمكانة هذا الداعي الرفيعة ونسبه العقيلي [إلى عقيل

بن أبي طالب]، وعلمه وتمرّسه في فكر الدعوة وتنظيمها، إضافة إلى شخصية يمنية لاتقل منزلتها عن منزلة ابن حوشب، وذلك لأن ابن الفضل كان على دراية بأمور اليمن وأحوالها، ومن شيعتها، إضافة إلى حنكته السياسية والقتالية وإخلاصه المتفاني الذي أظهره في البداية.

وظهرت الحكمة من هذا التنظيم المزدوج عندما انقلب ابن الفضل على الحركة الفاطمية في اليمن، وتنكّر للعهود التي قطعها للامام المستور، وانقضّ على منجزات ومكتسبات هذه الدعوة فخطفها لنفسه بعد أن أعمت بصيرته طموحاته الشخصية وغروره وحب الاستئثار بالسلطة والاستقلال نتيجة نجاحه الباهر في القضاء على أعدائه واخضاع معظم اليمن لسيطرته. فكان تنظيم ابن حوشب هو الملاذ لأهل الدعوة المخلصين الذين حافظوا على ولائهم لصاحب الدعوة، ولم يفرّطوا بمكتسباتهم، ورفضوا الرضوخ لنزوات ابن الفضل التي أودت بالحركة الفاطمية الأولى في اليمن وأجهزت عليها وهي في قمة نجاحها.

ـ سادساً: كان لهرب الداعي فيروز، داعي دعاة المهدي، من مصر إلى اليمن، أثره الرئيسي والمباشر في خروج علي بن الفضل على الدعوة التي أمضى أكثر من عشرين عاماً يكافح في سبيل نشر لوائها على ربوع اليمن. وليس من تفسير لهذ الهرب سوى أنه تبيّن لفيروز أنه لم يكن على اطلاع على كامل تنظيم الدعوة السرية، بدليل أنه لم يكن مطلعاً على حقيقة الجهة التي كان المهدي يسير إليها أثناء خروجه من سلمية. بعد افتضاح أمره هناك مع نهاية عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٦م. وما كان فيروز يعلمه هو أن الامام محمد المهدي ذاهب إلى اليمن حيث ظهرت دولته هناك وانتصرت على يد منصور اليمن، ابن حوشب، وعندما أبلغه الامام المهدي، وهو في مصر، أنه ذاهب إلى المغرب حيث كان الداعي أبو عبد الله الشيعي يمهد الأمر له هناك، تغيّر فيروز، وخالف الامام، وسار إلى اليمن بقصد فتنة أصحاب الدعوة هناك. وعندما فشل في خداع منصور اليمن والتأثير عليه ليخرجه على طاعة المهدي، تحوّل إلى صاحبه ابن الفضل الذي كان على أتمّ الاستعداد لمثل هذا الأمر، فأعلن خروجه من دعوة المهدي، وأعلن استقلاله، وحارب منصوراً وقضى على الحركة الفاطمية الأولى في ذلك القطر.

ـ سابعاً: لم يتوفر لدينا ما يفيد الربط بين الحركة الفاطمية الأولى في اليمن، والحركة القرمطية في الشام وسواد العراق والبحرين، والمعروف أن الحركة القرمطية لم تظهر على مسرح التاريخ إلاّ في وقت متأخر من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، أي في الوقت الذي كانت فيه الحركة الفاطمية في اليمن قد ظهرت وسيطرت على مجمل أراضي اليمن، ولم يبق لها من منافس يذكر في تلك الديار سوى الحركة الزيدية في صعده في شمال اليمن، يضاف إلى ذلك أن علاقة القرامطة بالامام محمد المهدي اتسمت بالعداء منذ نشأتها، وأنهم حاولوا منع مسير المهدي من سلمية إلى المغرب والقبض عليه لكنهم فشلوا. بينما حافظ منصور اليمن، زعيم الحركة الفاطمية الأولى في اليمن، على ولائه وإخلاصه لامامه الحسين بن أحمد (أو رضي الدين عبد الله)، ولولده محمد المهدي من بعده، حتى وفاته سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، ورفض التعاون مع فيروز وابن الفضل للخروج على طاعة المهدي . و ما ورد في رسالة ابن الفضل إلى منصور اليمن بخصوص أبي سعيد الجنابي، إنما هو تعبير عن رغبة ابن الفضل بالاقتداء بأبي سعيد الذي كان هو الآخر يتزعم قرامطة البحرين ومنشقاً عن طاعة المهدي.

وأما تسمية لحركة الفاطمية الأولى في اليمن بالحركة القرمطية من قبل المؤرخين اليمنيين المتأخرين، فإنها لا تعبر عن انتماء هذه الحركة إلى القرامطة، بل هي مجرد تسمية كان يراد بها النيل من سمعة الحركة الفاطمية في اليمن، والتقليل من شأنها وشأن القائمين عليها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية مرتبة حسب سني وفيات المؤلفين:

آ - المخطـوطـات:

١ - العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت. ٧٤٩/١٣٤٨)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ١٧ جزءاً، مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم: Ms915 I13 mi a

٢ - ادريس بن الحسن، الداعي عماد الدين (ت . ٨٧٢/ ١٤٦٧)، زهر المعاني، مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت تحت رقم MS297 . 822IZTKA

٣ - عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، سبعة أجزاء، مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت تحت رقم MS297 . 09 Izla A. ويوجد منه الاجزاء ١، ٢، ٤,

٤ - الشرفي، شمس الدين أاحمد (ت. حوالي ٨٠٠/ ١٣٩٧)، اللآلي المضية في أخبار أئمة الزيدية، الجزء الثاني. مخطوط في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت تحت رقم: MS 955 . 3 Sh56

ب - الكتب المطبـوعـة:

٥ - الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت. ٣١٠/ ٩٢٢)، تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، ١٣ جزءاً، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٣٢٦هـ.

٦ - الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت. ٣٣٤/ ٩٤٥)، الأكليل، الكتاب العاشر، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٦٨,

٧ - صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد النجدي، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٣,

٨ ـ اليماني، محمد بن محمد (ت . بعد ٩٦١/٣٥٠)، سيرة الحاجب جعفر، نشرها ايفانوف في مجلة كلية الآداب في الجامعة المصرية (القاهرة، ديسمبر، ١٩٣٦)، مجلد٤، جزء ٢، ص ١٠٧ - ١٣٣.

٩ ـ النعمان بن محمد (القاضي) (ت. ٣٦٣/ ٩٧٣)، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٠.

١٠ ـ ابن سعد، عريب (ت. ٣٦٦/ ٩٧٦)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق دي غويه، لندن، بريل، ١٨٩٧.

١١ ـ ابن النديم، محمد بن أسحق (ت. ٣٨٣/ ٩٩٣)، الفهرست، تحقيق غوستاف فلوغل، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٤.

١٢ ـ النيسابوري، أحمد بن ابراهيم (ت.حوالي ١٠٠٩/٤٠٠)، استتار الامام، نشرها ايفانوف في مجلة كلية الآداب في الجامعة المصرية (القاهرة، ديسمبر، ١٩٣٦) مجلد ٤، ج٢، ص ٨٩ - ١٠٧.

١٣ ـ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت.١٠٣٧/٤٢٩)، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، لا.ت.

١٤ ـ الحمادي، محمد بن مالك بن أبي الفضائل (ت.حوالي ٤٥٠/ ١٠٥٨)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تصحيح عزت العطار، القاهرة، مطبعة الأنوار، ١٩٣٩.

١٥ ـ الغزالي، أبو حامد (ت. ٥٠٥/ ١١١١)، فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.

١٦ ـ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت.١١٥٣/٥٤٨)، الملل والنحل، ٣ أجزاء في مجلدين بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمدبن حزم(ت.١٠٦٣/٤٥٦) القاهرة، لمطبعة الادبية، ١٣١٧.

١٧ - عمارة اليمني، نجم الدين (ت. بعد ٥٦٣/ ١١٧٦)، تاريخ اليمن، نشر في نسخة محققة مع ترجمة إلى الانكليزية في Kay, H.C, Omara's History of Yemen, London, Edward Arnold, 1892

١٨ - ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت. ١١٧٥/٥٧١)، التاريخ الكبير، ٦ أجزاء، دمشق، مطبعة روضة الشام، ١٣٣٢,

١٩ - الحميري، نشوان (ت . ٥٧٣/ ١١٧٧)، الحور العين، تحقيق كال مصطفى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٨,

٢٠ - منتخبات في أخبار اليمن، نشرها عظيم الدين أحمد، اليدن، بريل،,١٩١٦

٢١ - الجعدي، عمر بن علي بن سمرة (ت. بعد ١١٩٠/٥٨٦)، طبقت فقهاء اليمن تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٧,

٢٢ - ابن حماد، أبو عبد الله بن محمد بن علي (ت. القرن٦ه/١٢م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتها تحقيق فوندر هايدن، الجزائر، ١٩٢٧,

٢٣ - ياقوت الحموي، شهاب الدين إبي عبد الله (ت.١٢٢٨/٦٢٦)، معجم البلدان، ٥ جزاء. بيروت، دار صدر ودار بيروت، ١٩٥٥,

٢٤ - ابن لأثير، عز الدين بي الحسن بن أبي الكرم الشيباني (ت. ١٢٣٢/٦٣)، الكامل في التاريخ، ١٢ جزءاً، بيروت، دار صادر ودر بيروت، ١٩٦٦,

٢٥ - ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت. ٦٥٨/ ١٢٥٩)، الحلة السيراء، جزءان، تحقيق حسين مؤنس القاهرة، الشركة العربية للطبعة والنشر، ١٩٦٣,

٢٦ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت. ١٢٨٢/٦٨١)، وفيات الأعيان وأنباء الزمن، ٦ جزء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨,

٢٧ - أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت. ٧٣٢/ ١٣٣١)، المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٣٢٥ه.

٢٨ - الجندي، بو عبد الله بهاء الدين (ت. ٧٣٢/١٣٣١)، كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك، فصل منه منشور في: Kay ,H.C., yaman: its Early Medieval History, London, Edward Arnold, 1892

٢٩ - الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك(ت.بعد ٧٣٦/ ١٣٣٥)، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، المعهد الالماني للآثار، ,١٩٦١

٣٠ - ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت. ١٣٤٨/٧٤٩)، تتمة لمختصر في أخبار البشر، جزاءن القاهرة، جمعية المعارف، ١٢٨٥ه.

٣١ - ابن كثير، عماد الدين بي الفداء اسماعيل (ت .٧٧٤/ ١٣٧٢)، البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ جزءاً، القاهرة، مطبعة السعادة، لا.ت.

٣٢ - ابن خلدون، عبد الرحمن (ت.١٤٠٥/٨٠٨)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ١٠ مجلدات، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ,١٩٥٨

٣٣ - الخزرجي، علي بن الحسن (ت.١٤٠٩/٨١٢)، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، نشر الفصل المتعلق بقرامطة البحرين سهيل زكّار في: أخبار القرامطة في الاحساء - الشام - العراق - اليمن، دمشق، ,١٩٨٠

٣٤ - المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت. ٨٤٥/ ١٤٤١)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الفكر العربي، ,١٩٤٨

٣٥ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ جزاء، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٤ه.

٣٦ - ادريس بن الحسن، الداعي عماد الدين (ت.٨٧٢/١٤٦٧)، زهر المعاني، تحقيق مصطفى غالب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ,١٩٩١

٣٧ - عيون الاخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، الجزء الرابع ،١٩٧٣ والجزء الخامس ,١٩٧٥

٣٨ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت.٨٧٤/١٤٦٩)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، ٩ أجزاء، القاهرة، دار الكتب المصرية، ,١٩٣٢

٣٩ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بي بكر (ت. ٩١١/١٥٠٥)، تاريخ الخلفاء، الطبعة الثانية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القهرة، المكتبة التجارية، ,١٩٥٩

٤٠ - القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت.١٠٨٠/١٦٦٩)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بغداد، ١٢٨٢ه.

٤١ - ابن المؤيد اليمني، يحيى بن الحسين(ت. بعد ١٠٥٠/١٦٤٠)، أنباء الزمن في أخبار اليمن، القسم الأول، تصحيح محمد عبد الله ماضي. برلين، ولتردى فرويتر وشركاه، ,١٩٣٦

٤٢ - يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت.١١٠٠/١٦٨٩)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، قسمان، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، ,١٩٦٨

ثانياً: الدراسات والمراجع الثانوية مرتبة حسب التسلسل الأبجدي:

آ - العربية:

٤٣ - الأعظمي، محمد حسن، عبقرية الفاطميين، بيروت، دار الحياة، ,١٩٦٠

٤٤ - البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، جزءان، الطبعة الثانية، القاهرة،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ,١٩٥٦

٤٥ ـ تامر، عارف، القرامطة، بيروت، دار الكاتب العربي، لا.ت.
٤٦ ـ تاريخ الاسماعيلية، ٤ أجزاء، لندن، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩١,
٤٧ ـ الحبشي، عبد الله محمد، مراجع تاريخ اليمن، دمشق، وزرة الثقافة، ١٩٧٢,
٤٨ ـ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي، ٤ أجزاء، القاهرة، مطتبة النهضة لمصريـة، ١٩٤٦,
٤٩ ـ تاريخ الدولة الفاطمية، طبعة ثانية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨,
٥٠ ـ وشرف، طه أحمد، عبيد الله المهدي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧,
٥١ ـ حسين، محمد كامل، طائفة الاسماعيلية، القاهرة، ١٩٥٩,
٥٢ ـ الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة، ١٩٤٥,
٥٣ ـ سرور، محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠,
٥٤ ـ سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، ١٩٦٧,
٥٥ ـ شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، الطبعة االثانية، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤,
٥٦ ـ فخري، أحمد حسين، اليمن ماضيها وحاضرها، القاهرة، معهد لدرسات العربية العالية، ١٩٥٧,
٥٧ ـ العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة؛ المطبعة السلفية، ١٣٥١هـ.
٥٨ ـ العرشي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، نشـر انستاس ماري الكرملي، القاهرة، مطبعة االبرتيري، ١٩٣٩,

٥٩ ـ العصامي، عبد الملك حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤ أجزاء، القاهرة، المطبعة السلفية، لا.ت.

٦٠ ـ غالب، مصطفى، أعلام الاسماعيلية، بيروت، دار اليقظة لعربية، ١٩٦٤,

٦١ ـ تاريخ الدعوة اللاسماعيلية، الطبعة الثانية، بيروت، دار الاندلس، ١٩٦٥,

٦٢ ـ محمود، حسن سليمان، تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي، بغداد، ١٩٦٩,

٦٣ ـ الواسعي اليماني، عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤٦هـ.

٦٤ ـ الهمداني، حسين بن فيض الله، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٥,

٦٥ ـ في نسب الخلفاء الفاطميين، القاهرة، الجامعة الامريكية في القاهرة، مهعد الدراسات الشرقية، ١٩٥٨,

٦٦ ـ أبو خليل، شوقي، أطلس التاريخ العربي، طبعة ثالثة، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥,

٦٧ـ مؤنس، حسين، أطلس التاريخ الاسلامي، القاهرة، ١٩٨٧,

ب ـ الأجنبية:

68 - Brockelmann, Carl, History of the Islamic Peoples, trans. by J.Carmichael8 M.Perlmann, Newyork, G.P. Putnam,s Sons, .1947

69-Daftary, Farhad, The Ismailis: Their History and Doctrines, London, Cambridge University Press, 1992.

70- AL - Hamdani, Abbas ibn Hussein, The Beginnigs of the Ismaili Dawa in Northern India, Cairo, 1956.

71 - The Ismaili Society, Collèctanea, vol. I, Leiden, Brill, 1948

72 - Ivanow, W. Studies in Early Persian Ismailism, znd. Rev. ed, Bombay, The Ismaili Society, 1955.

73 - , Ibn al - Qaddah , znd.Rev.ed, Bombay, 1957.

74 - , Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, London, oxford University Press, 1942.

75 - Lane - Poole, Stanely , A History of Egypt in The Middle Ages, 4 th . ed, Dubbin, Frank Cassx COM. , 1968.

76 -Lewis, Bernard, The Origines of Ismailism, Cambridge, W.Heffer X Sons Ltd, 1940.

77- Mamour, Prince H.,Polemics on the origin of the Fatimi Caliphs, London, 1934.

78 - Muir, Sirwilliam, The Caliphate: its Rise, Decline, and Fall, Beirut, Khayats, 1963

ثالثاً: المقالات:

آ- العربيـة:

٧٩ ـ مشرف، عطية مصطفى، أحسب الدولة الفاطمية. المقتطف (القاهرة، يناير- مايو ١٩٤٦) مجلد ١٠٨ ص ٥٦ ـ ٥٩,

ب - الاجنبيـة:

80 - Hart, J. Smiley, Basic Chronology fer History of the yemen The Middle East Journal (washington) ,1963 vol. ,17 PP. 144 - 1530

81 - Margoliouth, D.S., Fatimids. Encyclopaedia Britannica, 11 theed., (Newyork,1910) , vol. ,10 PP. 302 - 304

82 - Robertson, William, San,a Past and Present. The Moslem World (Connecticut, 1943), vol. ,33PP.52 - 57

83 - Strothmann, R., San,a. Encyclopaedia of Islam)Leyden, 1934(, vol.,4 PP.143 - 146

84 - Walker,J., al - Mahdi Ubaid Allah. Encyclopaedia of Islam (Leyden, 1936), vol ,3 PP. 119 - 1210

الفهارس

فهرس الاعلام

(آ)

- ابراهيم بن زياد ٩٣.

- ابراهيم بن عبد الحميد ٩٣.

- ابراهيم بن موسى (العلوي) ١٨.

- أحمد الرازي (أبو العباس) ١٠.

- أحمد بن الله بن خليع ٥٥، ٥٦.

- أحمد بن علي (القاضي) ١٦.

- ~~اسحق بن ابراهيم الزيادي ٦٦~~.

- اسحق بن يحيى بن جرير ١٠.

- أسعد بن أبي يعفر ٢٣، ٢٤، ٥٥، ٦٥، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠.

- ابن زياد = الزياديون = الزيادية ١٨، ٢٢، ٢٥، ٥٧، ٦٦، ٨٦، ٩٤، ١٠٦.

- ابن أبي العرجاء ٩٣.

- ابن الأثير ٣٢.

- ابن خلدون ٣٢، ٣٤، ٥١.

- ابن حوشب = أبو القاسم الحسين بن فرج = منصور اليمن = رستم بن الحسيم ٧، ١٠، ١١، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣٢، ٤٠، ٤٨-٥٥، ٥٦-٦٣، ٧٩-٨١، ٨٢-٨٨، ٩٠-٩١، ٩٢، ٩٣-٩٤، ٩٧، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

- ابن رحيم (هرون) ٩٣.

- ابن الأشجع (يوسف) ٩٣.
- ابن أبي العلاء ٦٠، ٦٣.
- ابن طباطب = يحيى بن الحسين بن القاسم = الهادي إلى الحق = الزيدية = الزيديون ٩، ١٠، ١٨-٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٦٦، ٨٨، ٩٤، ١٠٥، ١٠٧.
- ابن طفيل ٩٣.
- الآمر بالله (الخليفة) ٩٧.
- آل محمد ٥٨.
- الأعظمي (المؤرخ) ٨٨.
- أبو بكر (الخليفة) ١٧.
- أبي الفوارس (الداعي) ٢٠.
- أبو الجيش (الزيادي) ٢٢.
- أبو سعيد الجنابي ٣٤، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٠٧.
- أبو سفيان (الداعي) ٦٢.
- أبو عبد الله الشيعي (الداعي) ٦٢، ١٠٧.
- ايفانوف ٣٦، ٩٧.

(ب)

- باذان ١٦.
- بروكلمان ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢.
- بسر بن أرطأة ١٧.
- البراء بن عازب ١٦.
- البراء بن وفيد العزري ١٧.

- بني أمية (الأمويين) ١٧، ١٨، ١٠٥.
- بني العباس (العباسيون) ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٤، ٣٦، ٥٤، ٦٥، ٦٦، ٨٨، ١٠٥، ١٠٦.
- بني العرجي ٥٨.
- بني حبش ٨٨.
- بني موسى ٥١، ٥٥.
- بني هاشم ٨٠.
- بني يعرب ٨٠.
- البهاء الجندي ١٠، ٣٤، ٥١، ٩٠.
- البكري ٢٢.

(ج)

- الجعدي ١٦.
- جعفر بن أحمد بن عباس ٩٣.
- جعفر بن منصور اليمن ٣٢، ٣٦، ٩٣، ٩٤، ٩٧.
- جعفر المناخي ٦٣، ٦٤، ٨٦.

(ح)

- الحاكم بأمر الله (الامام الخليفة) ٩٣.
- حسن ابراهيم حسن ٣٢، ٨٤.
- حسن بن محمد بن أبي الملاحق الصنعاني ٨٨.
- الحسين بن علي (الامام) ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٥١، ٥٢.

- الحسين بن أحمد (الامام المستور) = رضي الدين عبد الله ٧، ٨، ١٦، ٢١، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٨٠، ٨٥، ١٠٦، ١٠٧.
- الحسن بن منصور اليمن ٣٢،٩٢، ٩٣، ٩٤.
- الحمادي اليماني (المؤرخ) ٩، ١٠، ٢١، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٥١، ٥٦، ٦٢، ٦٣، ٨٣، ٨٦، ٨٩.
- حمدان قرمط ٢٠.
- حمير ٢٢.
- الحوالي (اليعفري) ٢٣، ٥٥، ٦١.
- الحلواني ٦٢.
- الحاجب جعفر ٨١، ٩٠.

(خ)

- خالد بن الوليد ١٦.
- الخزرجي (المؤرخ) ٨٩.
- الخطاب ٣٣.
- خنفر بن سبأ ٥١.

(د)

- الدواداري (المؤرخ) ٢٠، ٥٢.
- الدفتري (فرهاد) ١١، ٣٤.

(ذ)

- ذي حدن ٥١.

(ر)

- رستم بن الحسين = ابن حوشب.

(ز)

- زادان ٣٤.
- زيد بن علي ١٨.

(س)

- سبأ ٢٢، ٦٢.
- سبأصهيب ٥١.
- سليمان الزواحي ٩٣.
- السيوطي ١٨.

(ش)

- الشرفي ٩، ٦٥.
- شترطمان ٩٧.

(ص)

- الصناديقي ٢٠، ٢١.
- الصليحيون ١٠، ١١، ٥٦.

(ط)

- الطبري ١٦، ٦٥، ١٠٥.
- الطيب بن الآمر.٩٧.

(ظ)

- الظاهر لاعزاز دين الله (الامام الخليفة) ٩٣.

(ع)

- عبدان القرمطي ٢٠.
- عبد الله السلال ٢٠.
- عارف تامر ١٣، ٢٠، ٨٤.
- عثمان (الخليفة) ١٧.
- العزيز بالله (الامام الخليفة) ٩٣.
- العصامي (المورخ) ٨٧.
- العمري (المورخ) ١٩.
- عماد الدين إدريس (الداعي المورخ) ٨ ، ٩، ١٧، ٣٢، ٣٨، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠ ،٩٧.
- عمر بن الخطاب ١٧.
- عقيل بن أبي طالب ٣٤، ١٠٦.
- عبد الله بن عباس الشاوري ٦٢، ٩٢، ٩٣، ٩٤.
- عبيد بن ميمون = محمد المهدي (الامام الخليفة).

ـ علي بن أبي طالب ١٦، ١٧، ٥٤، ٩٧، ١٠٥.
ـ علي بن محمد الصليحي ٩٢، ٩٤.
ـ علي بن الفضل = ابن الفضل ١٠، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٣٦ ـ ٣٨، ٥٠ـ ٥٦، ٥٧، ٥٩ ـ ٦٠، ٦٢ـ ٦٦، ٧٩ـ ٩١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

(ف)

ـ الفأفأ (بن علي بن الفضل) ٩٠.
ـ الفهري ٣٩.
ـ فيروز (داعي الدعاة) ٨٠ـ ٨٢، ٨٣ ـ ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ١٠٧.

(ق)

ـ قبائل زبيد ٦٣.
ـ قبائل مزحج ٦٣.
ـ قبائل همدان ١٦، ٥٨، ٩٢، ١٠٥.
ـ القائم بأمر الله (الامام الخليفة) ٣٢، ٨١، ٩٤.
ـ القرامطة = الحركة ١١،٢٠،٢١، ٢٥، ٣٦، ٦٣، ٨٤ـ ٨٦، ٨٨، ١٠٧.

(ك)

ـ كراوس ٩٧.
ـ كسرى ١٦.
ـ كنانة ١٦.
ـ الكرندي ٨٦.

(م)

- محمد الحبيب ٥١.

- محمد الحسن العسكري ٣٩.

- مسلم بن عقيل بن أبي طالب ٣٤.

- محمد بن درهم الجنابي ٨٨.

- معاوية ١٧، ١٠٥.

- المعز بن المنصور (الامام الخليفة) ٣٢، ٩٣، ٩٧.

- المعتصم (الخليفة) ٢٣.

- المنصور بن القائم (الامام الخليفة) ٣٢، ٩٦.

- المأمون (الخليفة) ١٨، ٢٢، ٢٥، ١٠٥.

- المقريزي (المؤرخ) ١٠، ٢٠، ٢١، ٣٢، ٥١.

- مهلب الشهابي ٦٥.

- المهدي (المنتظر) ٢١، ٣٩، ٤٨، ٥٥، ٥٨.

- المهدي (الامام محمد = عبيد الله) ٧، ٩، ٢٦، ٣٦، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٧٩- ٨١، ٨٣ - ٨٦، ٨٦، ٨٩، ٩١، ١٠٧.

- ميمون القداح ٣٨، ٥٢، ٨٦.

- مخلد بن كيداد (أبو يزيد) ٩٤، ٩٥.

(ن)

- النجار ٢٠.

- نشوان الحميري ١٧.

- النعمان (القاضي) ٧، ٩، ٣٢ - ٣٤، ٣٧ - ٣٨، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٦٠، ٦٢، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٧.

- النجاحيون = بني نجاح ٩٤.

(هـ)

- هرثمة بن بشر ٢٣.

- الهمداني (المؤرخ) ١٧، ٣٢، ٥٨، ٨٣ ، ٨٤، ٨٨، ٩٠.

- الهيثم (ابن أخي منصور اليمن) ٦٢.

(ي)

- يحيى بن الحسين (المؤرخ) ١٠، ٣٨ ، ٨٢ ، ٨٨ .

- اليعفريون = بني يعفر ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥ ، ٢٦، ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٩٤، ١٠٥ .

فهرس الأماكن

(أ)

- أبين ٦٠، ٦٣.
- أفريقية ٦٢، ٨٠، ٨١، ٩٤.
- آلموت ١٤٠.

(ب)

- البحرين ٢٥، ٦٢، ١٠٧.
- البصرة ٢٠.
- بغداد ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٦٥، ٦٦، ٨٩، ١٠٥.
- بلاد البياض ٥٨.
- بلاد يافع ٥٥.
- بيت ريب ٦٢.

(ت)

- تهامة ٦٥، ٨٢.

(ج)

- جبل الجميمة ٦١، ٨٦.
- الجند ٥٥، ٦٣، ٩٤.
- جيشان ٢٦، ٥١، ٥٦.

(ح)

- الحجاز ١٩.
- حصن حرّان ٦٤.
- حصن فاير ٦١.
- حماه ١٠٦.
- حمص ٥١.

(د)

- دمشق ١٨، ١٠٥.

(ذ)

- ذمار ٦٤.
- ذي عسب ٩٣.

(ر)

- الرس ٢١.

(ز)

- زبيد ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٦٠، ٦٥، ٦٦، ٨٣، ٩٤، ١٠٥.

(س)

- سرو يافع ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٣.
- سواد العراق ١٠٧.
- سلمية ٧، ٣٦، ٤٠، ٥١، ٥٢، ٦٣، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ١٠٦، ١٠٧.
- السند ٦٢، ٧٩.

(ش)

- الشام ١٧، ١٨، ٢٠، ٨٠.
- شبام ٦٢، ٦٥، ٨٦.
- شبام حمير ٩٣.

(ص)

- صعده ١٩، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٦٦، ٨٨، ٩٤، ١٠٧
- صفين ١٧، ١٠٥.
- صنعاء ١٩، ٢٢، ٢٣ـ ٢٦، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٠ـ ٦١، ٦٢، ٦٤ـ ٦٥، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ١٠٥.

(ط)

- طبرستان ١٨، ١٩.

(ع)

- عبر محرم ٥٨، ٥٩.
- عدن أبين ١٦، ٥٤، ٥٥.

- عدن لاعة ١٦، ٢٦، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦١، ٦٣، ٨٢.
- العراق ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٥.

(غ)

- غلافقة ٥٥.

(ف)

- فارس ١٤٠.
- الفرات ٣٩.

(ق)

- القادسية ٥٤، ٥٥.
- القطيف ٢٠.

(ك)

- كربلاء ٣٨، ١٠٦.
- كوكبان ٦٢، ٩٣.
- الكوفة ٢٠، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٨، ١٠٦.

(ل)

- لحج ٦٣.

(م)

- مخاليف المغرب ٥٨.

- مخلاف أردان ٥٨.
- مخلاف حجة ٥٨.
- مخلاف عيان ٥٨.
- مخلاف لاعة ٥٨.
- مخلاف جعفر ٨٦، ٩٠.
- المدينة المنورة ١٨، ٢٥.
- المذيخرة ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٨٠، ٨٧، ٩٠.
- مسوّر ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٨٧، ٩٣.
- مصر ١١، ١٧.
- المغرب ٧، ١٤٠.
- مكة ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٨٨، ١٠٦.
- منكث ٦٤.
- المهدية ٩٤.

(ن)

- نجران ١٩.
- نقيل صيد ٨٩.

(هـ)

- الهند ٦٢.

(و)

- وادي السحول ٩٠.

(ي)

- يحصب ٦٤.

- يمامة ٦٢، ٧٩.

- اليمن وقد وردت في معظم صفحات هذه الدراسة.

الفهارس

المحتويات | الصفحة

تصدير..٥

مقدمة ٧

الفصل الأول: اليمن والحركات الشيعية قبيل ظهور ابن حوشب..........١٥

١ـ دخول الاسلام الى اليمن ١٥

٢ـ الحركات الشيعية الأولى في اليمن ١٨

أ ـ الدعوة الزيدية ١٨

ب ـ الدعوة القرمطية..................................٢٠

٣ـ نشوء الدويلات المستقلة..............................٢٢

أ ـ الدولة الزيادية......................................٢٢

ب ـ الدولة اليعفرية.........................   ....٢٣

٤ـ الحالة العامة في اليمن وقت ظهور ابن حوشب..............٢٤

الفصل الثاني: شخصية ابن حوشب واعتناقه للإسماعيلية.................٣١

١ـ نشأة ابن حوشب حتى اعتناقه للإسماعيلية ٣١

أ ـ اسمه واصله...٣١

ب ـ نشأته وعلومه...٣٤

٢ـ تحول ابن حوشب الى المذهب الاسماعيلي ٣٦

الفصل الثالث: دعوة ابن حوشب في اليمن.......................٤٩

١ـ تهيئة ابن حوشب للقيام بالدعوة ٤٩

أ ـ علي بن الفضل وتحوله الى الاسماعيلية...........................٥٠

المحتويات الصفحة

ب ـ التحضير للدعوة والرحلة الى اليمن ٥٣

٢ـ مراحل الدعوة..٥٦

أ ـ الدور السلمي..٥٧

ب ـ الدور الحربي..٦٠

١ـ نشاط ابن حوشب الحربي...............................٦١

٢ـ نشاط ابن الفضل الحربي...............................٦٣

الفصل الرابع: ثورة ابن الفضل على ابن حوشب ونهاية الحركة الفاطمية..١٣٩

١ـ دوافع الثورة...................................٧٩

٢ـ الصراع بين ابن حوشب وابن الفضل............................٨٦

٣ـ أعمال ابن الفضل ونهاية الحركة الفاطمية في اليمن.............٨٧

٤ـ الحركة الفاطمية في اليمن بعد ابن حوشب........................٩٢

٥ـ جعفر بن منصور اليمن...................................٩٤

ملاحظات ختامية...١٠٥

المصادر والمراجع..١٠٩

الفهارس ١٢١

ـ فهرس الاعلام...١٢٣

ـ فهرس الأماكن...١٣٣

الينابيع
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ص.ب: 6348
☎ 6316350